



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The People's Democratic Republic of Algeria



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and scientific Research

المركز الجامعي _ صالح أحمد_ بالنعامة. Naama University centre –Salhi Ahmed.

قسم اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

بعنوان:

جهود فاضل السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو
العربي- دراسة في كتابه لمسات بيانية.

تخصّص لسانيات عربية

شعبة الدراسات اللغوية

ميدان اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة: فتيحة خليفي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عبد القادر بوعصابة	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	رئيسا
محمد الصالح بوضياف	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
خيرة وارف	أستاذة محاضرة ب	المركز الجامعي النعامة	مناقشة

الموسم الجامعي: 1446/1447 هـ، الموافق 2024/2025 م



خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : خلفى فتيحة

الصفة (طالب - أستاذ - باحث)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200770615

الصادرة بتاريخ : 2016/12/04 بالعين الصفراء- النعامة-

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

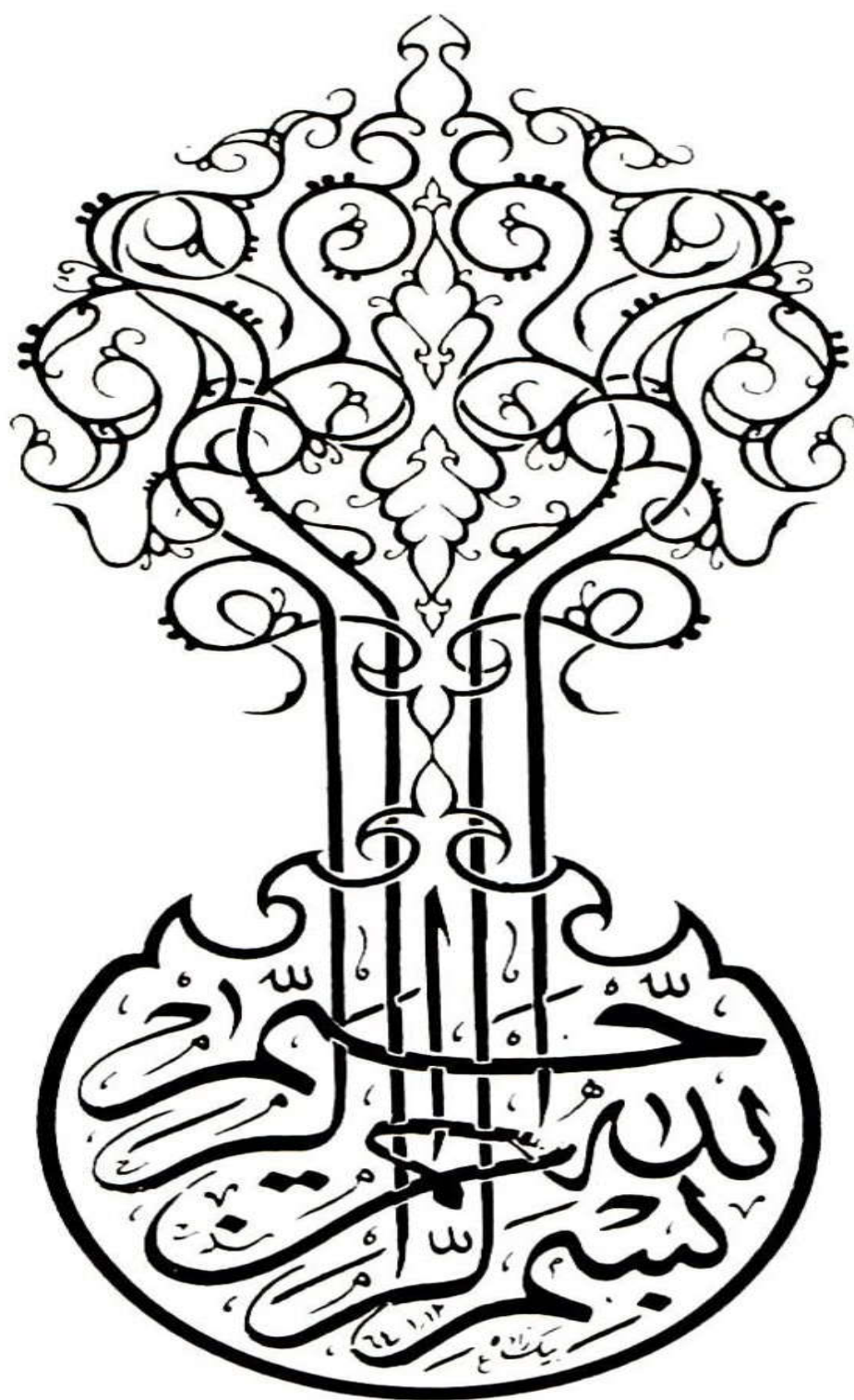
والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة/التخرج - مذكرة ماستر - مذكرة ماجستير - أطروحة/كتوراه) عنوانها :

جهود فاضل السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي- دراسة في كتابه لمسات بيانية.

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : الاثنين 06 ذي الحجة 1446 هـ الموافق لـ 2 جوان 2025م

توقيع المعنى



الإهداء

إلى أهلنا في غزّة المرابطين على الثّغور

حفاظا على مقدّسات أمّتنا

إلى روح والديّ الكريمين رحمهما الله

إلى زوجي وسندي في هذه الحياة

إلى أبنائي وبناتي وأزواجهم، وإلى أحفادي قرّة العين

إلى إخواني وأخواتي وإلى أحبّتي في الله

إلى كلّ مخلص في علمه وعمله ودينه

أهدي ثمرة هذا العمل



الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه، وصلى الله على خير من اصطفاه من خلقه
وكرمه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والاحترام لكل من
علّمني عبر مراحل دراستي إلى غاية هذه اللحظة، وخاصة أساتذة اللغة العربيّة
بالمركز الجامعي -صالحى أحمد- وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد الصالح
بوضياف الذي أشرف على إنجاز هذه المذكرة، وأثار دري بتوجيهاته ونصائحه
القيّمة فكانت خير زاد ومعين.

الطالبة: فتيحة خليفي



المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بآلائه، وتفضل علينا بنعمائه، أنزل القرآن العظيم بلسان عربي مبين ونظّم فيه الحروف دلالة للمتوسّمين، وعبرة للمعتبرين، فأعجز به الفصحاء والبُلغاء، ولمّا ذاع صيت هذا الذّكر الحكيم، أقبل عليه النّاس تلاوةً وحفظاً، عرباً وعجماً، وقد أذن اختلاط العرب بغيرهم بفساد في الألسن، وتغيّر في السليقة، وكان لابدّ من وضع قواعد وضوابط تحفظ للغة العربية سلامتها وتصون القرآن من اللّحن والزّلل.

فظهر علم النّحو، فكان من أجلّ علوم العربيّة مكانةً، وأرفعها ذكراً، ولعلّ المزيّة لهذا العلم ترجع لارتباطه بكتاب الله العزيز، هذا الكتاب الذي سارع العلماء لتفسيره والكشف عن أسرارهِ، والبحث في إعجازه وبلاغته، ولم يتوقف الأمر على البحث في النحو وقواعد اللغة حتى ظهر علم البلاغة الذي كانت الغاية منه هي البحث في أوجه الإعجاز ومزايا النظم والبيان.

وتؤكد مسيرة النّظم في التّراث العربي أنّه بلغ ذروته واكتمل نصّجه على يد إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني الذي جمع بين علميّ النّحو والبلاغة، مؤكّداً أنّ النّظم ماهو إلّا تَوْحْي معاني النّحو. وتوالت العصور والأزمان إلى عصرنا الحالي، وبرز عالمٌ أفاد من هذا النّظم، وجعل من معاني النّحو المحور الأساس للدراسات القرآنية ومباحث البلاغة والإعجاز.

إنّه فاضل صالح السّامرائي الذي تبخّر في علوم اللّغة العربيّة فاغترف من التّراث العربي، ولم يكتفِ بذلك بل نهّل من علوم عصره وبخاصّة الدّراسة اللّغويّة، وسخر كلّ ذلك في الكشف عن أسرار البيان القرآني.

ولذلك جاء هذا البحث موسوماً: "جهود فاضل السّامرائي في التّوجيه البلاغي للنّحو العربي -دراسة في كتابه لمسات بيانيّة"، وهي جهودٌ جديرة بالبحث والاطّلاع.

وكان لاختيارنا لهذا البحث دوافع ذاتيّة وأخرى موضوعيّة:

فأمّا أولاهما فإنّها الرّغبة في التعرّف على هذه الشّخصيّة المعاصرة التي أسهمت في إبراز أسرار البيان القرآني من خلال توجيه علوم اللّغة العربيّة لاسيما ما تعلّق بالنّحو والبلاغة، إيماناً منّا أنّ النّحو ليس ذلك العلم الذي تحوطه الصّعوبة والتّعقيد؛ وإنّما هو بوّابة العربيّة، وأنّ تعلّمه سبيل لفهم القرآن الكريم وتدبره.

وأما الأخرى فلأجل الاستزادة في مجال تخصّصنا ودراستنا.

ومرادنا من هذا أن نقف على إبراز ثمرة دراسة النّحو على أساس المعنى وأثر توجيه معاني النّحو والنّظر في التّعبيرات ودلالاتها، ممّا قد يجعل المتلقّي يتمتّع بهذا النوع من البحوث والدراسات التي نستشعر فيها معاني القرآن العظيم، ونتذوّق بها خصائص اللّغة العربيّة وأسرارها.

يتمحور بحثنا حول الإشكالية التالية:

فيم تمثلت جهود فاضل السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات شتى منها:

- هل كان للنحاة القدماء أثر في البحث البلاغي؟ وما علاقة النظم بالنحو في نظرية عبد القاهر الجرجاني؟

- إلى أي مدى أسهم التوجيه البلاغي للنحو العربي في الكشف عن أسرار القرآن الكريم وجمال اللغة العربية؟

- ماهي أهم السمات والأسس والمصادر في دراسة فاضل السامرائي؟

- ما أبرز المسائل البلاغية النحوية في كتاب السامرائي لمسات بيانية؟

وللإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة تتبعنا خطة بحث تمثلت في مقدمة ومدخل وفصلين

ثم خاتمة للموضوع أوردنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

وسمنا المدخل: "التوجيه البلاغي للنحو العربي في التراث العربي".

تضمن في البداية أثر النحاة في البحث البلاغي، تلاه أثر المفسرين في البحث البلاغي، ثم إعجاز القرآن والبحث البلاغي الذي جاء موصولاً بالنظم قبل عبد القاهر الجرجاني، وختمنا المدخل بالحديث عن عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم.

وعنواناً الفصل الأول: "جهود فاضل صالح السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي".

وتمثلت عناصر هذا الفصل فيما يلي:

السيرة الذاتية لفاضل صالح السامرائي، الأسس والسمات التي ميّزت كتاباته، المصادر التي استند إليها في دراسته وأبحاثه، علاقته بالنظم عند الجرجاني، وفي الأخير جهود فاضل صالح السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي.

وبخصوص الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي فقد جاء بعنوان: "مسائل التوجيه البلاغي للنحو

العربي عند السامرائي في كتابه لمسات بيانية في نصوص من التنزيل".

عرضنا في البداية قراءة في الكتاب ثم تتبعنا جلّ اللّمسات البيانية التي وردت فيه على مستوى المفردة القرآنية أو التركيب.

واقترضت طبيعة البحث الاعتماد على منهج الوصف والاستعانة بالتحليل قصد وصف الظواهر

النحوية والبلاغية والوقوف عند جهود السامرائي بشيء من الشرح والتحليل.

واستفدنا من بعض الدّراسات السّابقة المرتبطة بالموضوع، منها:

1. الدّراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السّامرائي – سمات ومرتكزات- اليزيد بلعمش مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.
 2. المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، شادلي سميرة، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، مجلّة دراسات معاصرة.
 3. فاضل السّامرائي وآراؤه النّحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، رسالة ماجستير في اللّغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين، 2007م.
- واستندنا في البحث على جملة من المصادر والمراجع نخصّ بالذكر: أثر النّحاة في البحث البلاغيّ لعبد القادر حسين، وكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، واستقينا جهود فاضل السّامرائي من مؤلّفاته، ونذكر على سبيل المثال: معاني النّحو، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني، الجملة العربيّة والمعنى وكتابه لمسات بيانيّة في نصوصٍ من التّأنيّل وهو محلّ الشاهد في دراستنا.
- ولعلّ من أهمّ ما واجهنا من صعاب يتمثّل في شساعة الموضوع وتداخل مباحث النحو وعلوم البلاغة ومباحث البيان والنظم عند القدامى، وتتبع هذه العناصر في كتابات السامرائي.
- نأمل أنّنا طرّقنا بعض الجوانب في بحثنا وفتحنا شهية طُلاب العلم للتطرق إلى جوانب أخرى من هذه الدّراسة. ويبقى عملنا عملاً بشرياً قاصراً، وأنّ الكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المدخل

التوجيه البلاغي للنحو العربي في التراث العربي

أولاً: أثر النحاة في البحث البلاغي

ثانياً: أثر المفسرين في البحث البلاغي

ثالثاً: إعجاز القرآن والبحث البلاغي

رابعاً: النظم قبل عبد القاهر الجرجاني

خامساً: عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم

منذ فجر التاريخ واللغة العربية لغة إفصاح وبيان، إذ كانت محلّ اعتزاز العرب وافتخارهم، والغاية في مساجلاتهم ومناظراتهم، وزادها الله تشريفا ومهابة لما أنزل بها كتابه العزيز- القرآن الكريم- فأعجز به الفصحاء والبلغاء.

وقد كانت العرب تنطق العربية سجيّة وسليقة، وبدخول العجم إلى الإسلام، فسدت الألسن، وظهر اللحن في كلام الناس، فهبّ العلماء إلى وضع قواعد للنحو، حفاظا على سلامة اللسان العربي من أن تعتوره اللكنة، وعلى كتاب الله من أن يطأه اللحن، وليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، فينتحي بذلك سمت كلام العرب كما ذكر ابن جني في بيان النحو.

ومنه ظهرت علوم القرآن والعربية وفي ذروتها النحو والتفسير والبلاغة، وكانت هذه العلوم علوما موسوعيّة، فتجد النحوي يكتب في النحو والبلاغة والتفسير، والجدير بالذكر أن جلّ أئمة النحاة كانوا مقرئين وحُفَظًا للقرآن الكريم.

وانبرى ثلّة منهم يفسرون كتاب الله يبحثون في غريبه ومتشابهه، في ألفاظه ومعانيه وتأويل مشكله وفي مجازيه ونظم إعجازه، فخاض في لجج التفسير جهابذة وعلماء يبحثون في فنون القول وأسرار اللغة العربية وعلومها يُبينون مراد الله من كلامه.

ثم بدأ البحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم، أي لفظه؟ أم في معناه؟ أم في نظمه؟ ولمع في سماء البلاغة نجوم تحدّثوا في نظم القرآن وحسن تركيبه، وتأليفه وسبك ألفاظه، كان على رأسهم إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني صاحب النظرية الشهيرة -نظرية النظم-.
أولا: أثر النحاة في البحث البلاغي.

كان للنحاة أثرا يَنكُر في نشأة البلاغة وتطورها، فمن المعلوم أنّ العلوم قديماً كانت متداخلة فنجد في كتب الخليل وسيبويه والفراء والمبرد وثعلب مزيجا من النحو واللغة والإشارات البلاغيّة، فكنتهم لم تكن مقصورة على النحو فحسب، وكان هدفهم الحفاظ على سلامة اللغة العربية ممّا شابهها من اللحن، وتصفيها ممّا تسرّب إليها من فساد، وذلك بانتحاء سمت كلام معهود العرب، وسنعرض لأهمّ الملاحظات أو الإشارات البلاغيّة لهؤلاء النحاة التي أصبحت أسساً لمباحث بلاغيّة اتّسعت فيما بعد.

البحث البلاغي عند الخليل: (ت 175 هـ)

يعدّ الخليل إمام النّحاة البصريين وزعيمهم، "فقد كان الغاية في استخراج مسائل النّحو وتصحيح القياس فيه"¹، وقد عُرف بمنطقه الرياضي وحسّه الموسيقي؛ إذ تتبّع مخارج الحروف والأصوات، فهو مؤسس علم العروض ومؤلف أول معجم عربي -معجم العين- الذي جمع فيه مفردات اللّغة العربيّة حيث ذكر المُستعملَ منها والمُهمَل، وعقد التّقليبات على المفردات، فرتبّه ترتيباً مخارجياً صوتياً. "وكان الخليل أعلم النّاس وأذكاهم، وأفضل النّاس وأتقاهم...، قال أبو الطيّب اللّغوي: وأبدع الخليل بدائع لم يُسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسَمّى بكتاب {العين} فإنّه هو الذي رتب أبوابه"².

وهو أستاذ سيبويه وأكثر الحكاية في كتابه عنه، فجّل المسائل الواردة في الكتاب عن الخليل. وأمّا بخصوص البحث البلاغي فإنّ "الخليل كانت له ملاحظات بلاغيّة قيّمة أودعها سيبويه كتابه الذي يقال إنّّه جمع أصوله ومسائله من صنّع الخليل نفسه... وآراء الخليل البلاغيّة تستحق التسجيل والتنويه، فهو ليس صاحب عروض ولغة ونحو فحسب، وإنّما جمع إلى ذلك بعض الملاحظات التي أحرز بها قصب السبق، ونقلها عنه سيبويه كما هي، ولم يردّ منها شيئاً، وإنّما يتقبلها كما هي دون نقد أو مناقشة"³.

وآراء الخليل البلاغيّة موزّعة في كتب أخرى عدا كتاب سيبويه، وإذا جُمعت أصبحت زاداً في علم البلاغة، وهذه الآراء تتصل بعلم المعاني والبيان والبدیع، وتعريف البلاغة نفسها، وللخليل أكثر من تعريف للبلاغة منها قوله: كلّ ما أدّى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغك، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقاً ولتلك الحال وفقا، وآخر كلامك لأوّل مشابها، ومورده لمصادره فافعل.⁴

ونفهم من تعريف الخليل أنّ البلاغة هي مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب، مع مراعاة فصاحة الألفاظ وبيانها وملاءمتها وخلوّها من التنافر.

وكان للخليل أذن سمّاعة يميّز بها اتّساق الحروف وتناسقها عن ثقلها وتنافرهما، "فكان يحسّ بهجر الألفاظ وشناعة الكلمات إذا صكّ سمعه ثقل لم يألّفه فيما استمع من فصحاء العرب، فقد روي أنّه قال: سمعنا كلمة شنعاء وهي (العجّخ) وأنكر تأليفها، كلّ ذلك اعتماداً للخفة وتجنباً للثقل في النطق.

1- من تاريخ النّحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، الجامعة اللبنانيّة (قسم اللّغة العربيّة)، (دون ط)، (دون ت)، ص 39.

2- مراتب النّحويين، عبد الواحد علي، أبو الطيّب اللّغوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2009 م ص ص 45-47.

3- أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، 1998 م، ص 55.

4- ينظر المرجع نفسه، ص 55.

ويلاحظ الخليل الإيجاز وخفة الكلام الذي ينشأ عن الحذف، "فالخفة ينبغي أن نلتزمها ولو كان ذلك بحذف أجزاء الجملة، مادام ذلك لا يؤدي إلى لبس المعنى في ذهن السامع، وكان المخاطب يعلم ما حذف من الكلام، فيحذف الفعل لهذا الغرض، ففي قوله تعالى: ﴿انتهوا خيراً لكم﴾ {النساء: 171}، يقول الخليل: كأنك قلت انته وادخل فيما هو خير لك فنصبته".¹

وفي حكاية سيبويه عن سؤاله الخليل عن العلة في حذف جواب الشرط في بعض آيات التنزيل "يقول: وسألت الخليل عن قوله جلّ ذكره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ {الزمر: 73}، وعن قوله جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ﴾ {البقرة: 165}، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ {الأنعام: 27} فقال: إنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام فالخليل قد عرف هذا اللون البلاغي الذي يتجلى في حذف المسند وحذف الجملة، حيث كان القصد إليه الإيجاز، مراعيّاً في ذلك حال المخاطب ومعرفته ببقية أجزاء الكلام، فلم يرد أن يثقل عليه بتكرار ما يعلم، وإرهاقه بألفاظ لا تزيد معها الفائدة فكان ذكرها عبثاً وحذفها بلاغة".²

نفهم ممّا ذكرناه في باب الإيجاز وباب الحذف أنّ الكلام البليغ هو ما اتصف بالإيجاز والاختصار وقد يلجأ المتكلم لحذف أجزاء من الكلام طلباً للخفة، وهذا ما بينه الخليل وورد في القرآن وكلام العرب. وكما كان للحذف موضعه وبلاغته عند الخليل، كان للزيادة موضعها وبلاغتها، فالحرف يزيد في الكلمة والغرض منه التوكيد على المعنى، والخليل يدرك السرّ البلاغيّ لهذه الزيادة فينقل عنه سيبويه في قوله: مررت برجل حسبك به من رجل، وزعم الخليل أنّ (به) ههنا بمنزلة هو، ولكنّ هذه الباء دخلت ههنا توكيدا كما قال: كفى الشيب الإسلام، وكفى بالشيب الإسلام، كما يتحدث الخليل عن ملاحظة بلاغيّة وهي قبح التنكير في الندبة، وأنّه يلزم فيها التعريف وتكون الندبة في المصاب الجلل أي الفاجعة، لذلك وجب التعريف لها، فأنت لا يمكن أن تندب من لا تعرفه أو هو مجهول عندك، وهذا ما لاحظته الخليل في لغة العرب، يقول سيبويه (في باب ما لا يجوز أن يندب) وذلك قولك وأرجلاه ويارجله، وزعم الخليل ويونس أنّه قبيح ولا يقال، وقال الخليل: وإنّما قُبِحَ لأنّك أهيمت، ألا ترى أنّك لو قلت واهذاه كان قبيحا لأنّك إذا ندبت فإنّما ينبغي أن تفجع بأعرف الأسماء وأن تختص فلا تهم لأنّ الندبة على البيان.³

ومن أشهر المباحث البلاغيّة التقديم والتأخير في الكلام، وقد عرفه الخليل وتحدّث عنه.

1- أثر النحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 57.

2- المرجع نفسه، ص 58.

3- ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"يرى بعضه حسناً وبعضه قبيحاً، ولا يبين لنا السرّ البلاغيّ في التقديم وإنّما يكتفي بضرب الأمثلة على هذا النوع، ويعقّب عليه بأنّه عربيّ جيّد، فالتقديم عند الخليل يكون على نية التأخير ويبقى على حكمه الذي كان عليه قبل أن يُقدّم، فتقديم الخبر في (زيد قائم) يظلّ خبراً إذا قلنا قائمٌ زيدٌ، وتقديم المفعول في (ضرب عمرو زيداً) يبقى على حاله مفعولاً إذا قلنا ضرب زيداً عمرو، وهذا هو الشرط لحسن التقديم عند الخليل، وبدون مراعاة هذا الشرط يصبح الكلام قبيحاً، لأنّه إمّا يؤدّي إلى لبس كما في تقدّم المفعول حين يصبح فاعلاً، أو يؤدّي إلى المحال كما في تقديم الخبر حين يخبر عن النكرة بالمعرفة".¹

كما تحدّث الخليل عن الفرق بين (إن) و(إذا) ويبين معنيهما "وينسب سيبويه إلى أستاذه الخليل حيث يقول: وسألت الخليل عن (إذا) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال الفعل في (إذا) بمنزلة (إذا)... فإذا فيما يستقبل بمنزلة (إذا) فيما مضى، ويبين هذا أنّ (إذا) تجيء وقتاً معلوماً ألا ترى أنّك لو قلت: آتيك إذا احمرّ البسر كان حسناً، ولو قلت آتيك إن احمرّ البسر كان قبيحاً، فإن أبدأً مهمة، فإذا تجيء للوقت المعلوم المحدّد الذي يقع يقيناً، ولا شكّ في تحقيق وقوعه، فالبسر سيحمرّ لا محالة، وزمن احمراره معروف لدى العرب، فلمّا كان الأمر كذلك حسن دخول إذا، لأنها وضعت لتحقيق الوقوع. أمّا (إن) فهي لا تدخل على شيء محقق وقوعه، بل تدخل على الشيء الذي يُظن أنّه قد يقع، أمّا الواقع فعلاً أنّ الذي يقع لا محالة فيقبح دخول (إن) عليه".²

وأشار الخليل إلى ما عرف عند المتأخرين بخروج الكلام على غير مقتضى الظاهر وهذا وارد بكثرة في آيات القرآن، حيث يصف القرآن الأشياء التي لا تعقل بصفات العقلاء، فتستحق معاملتهم وتأخذ نفس حكمهم، حيث يذكر سيبويه ذلك وينقله عن الخليل فيقول: "وَأَمَّا كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ" {الأنبياء: 33} وَرَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ {يوسف: 04} وَ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ {النمل: 18} فزعم الخليل أنّه بمنزلة ما يعقل ويسمع لما ذكرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حين حدثت عنه كما تحدث عن الأناسي، وكذلك في فلك يسبحون لأنّها جعلت في طاعتها، بمنزلة من يعقل من المخلوقين ويبصر الأمور".³

ومن المباحث البلاغيّة التي لم يغفلها الخليل وضع المثني موضع الجمع وهو أن يتكرّر الشيء مرة بعد مرة وفي ذلك من التأكيد ما لا نجده في التعبير بالجمع دفعة واحدة، وقد ذكره ابن جني ووقف على سرّه البلاغيّ واستعان في ذكره بما نقله عن الخليل، حيث بيّن هذا المغزى مستعينا في ذلك بتفسير الخليل في قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ {الحجرات: 10}، لفظها لفظ التثنية ومعناها الجماعة، أي أنّ كل

1- أثر النحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 59.

2- المرجع نفسه، ص 60.

3- المرجع نفسه، ص 62.

اثنين فصاعداً من المسلمين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. ألا ترى أنه حكم عام في الجماعة وليس يختص به منهم اثنان مقصودان؟¹

البلاغة عند سيبويه (ت 180هـ):

هو عمرو بن عثمان بن قنبر من زعماء النحويين البصريين وأئمتهم، "ويكنى أبا بشر، وقيل أبا الحسن، وقيل أبا عثمان، ولكن أشهرها أبو بشر الملقب بسيبويه"²، وقيل أن سبب تسميته بسيبويه "رائحة التفاح، لأن أمه كانت ترقصه بذلك في صغره"³.

وقد أطنب كثير من العلماء في مدح سيبويه وتقريظ كتابه، حيث "حاز هذا الكتاب قصب السبق والقدح المعلى، وقد جاء الكتاب بلا عنوان، وأغلب الظن أن المنية عاجلت صاحبه فلم يسمه، ولم يضع له مقدمة ولا خاتمة، يوضح فيهما عمله... وإن حُرِمَ الكتاب من تسمية صاحبه إيّاه، فقد سمّاه الناس ب(كتاب سيبويه) أو بـ (الكتاب)، وأصبح هذا الاسم علماً عليه، وشاع وعرف بين الناس، وسار مسير الشمس في كبد السماء"⁴.

يقول المازني (ت 249 هـ) في مدح سيبويه وتقريظ كتابه: "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح ممّا أقدم عليه"⁵.

وممّا يلاحظ أنّ كل من جاء بعد سيبويه قد اغترف من بحره، ولا تخلو كتب النحاة بعده من مسائله والمنهج الذي رسمه في استنباط الأحكام واستخراج المسائل رغم تطور النحو، فالأجيال المتعاقبة لم تغيّر الأسس والقواعد وإن كانت غيّرت القوالب والصور.

ويجدربنا أن ننبّه أن كتاب سيبويه قد تضمّن مسائل بلاغية كثيرة "وربّما يزعم زاعم أنّ سيبويه حين نثر هذه المسائل البلاغية، لم يقصد إلى غير النحو، ولم يرَ علماً خاصاً هو علم البلاغة أو أحد فنونها الثلاثة والرد على هذا الزعم سهل ميسور، فإنّ سيبويه لم يكن يفرّق بين النحو والبلاغة، ولم يكن النحو عنده مجرد النظر في أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء وما فيهما من حركات وسكنات، وإنّما النحو

1 - ينظر أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص 63.

2- كتاب سيبويه وأثره في اللغة العربية دراسة في التأسيس للقواعد النحوية، قلابزة يوسف، أطروحة دكتوراه في الدراسات اللغوية، جامعة ابن خلدون تيارت، 2022/2021، ص 17.

3- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، 1995، ط2، ص 79.

4- كتاب سيبويه وأثره في اللغة العربية دراسة في التأسيس للقواعد النحوية، المرجع السابق، ص 36.

5 - أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص 67.

عنده يشمل هذا كله، ويشمل أيضاً تأليف الجملة ونظمها، وسرّ تركيبها، وبيان ما فيها من حسن أو قبح ولا شك أنّ هذا لا يشمل علم النحو فحسب، وإنّما يشمل أيضاً البلاغة كما نعرفها اليوم".¹

ومسائل البلاغة منثورة في كتابه وإن كانت تختلف عن كلام البلاغيين الذين عرفوا المصطلحات والتقسيمات "فمثلاً تجد سيبويه يتحدث عن الإيجاز والاختصار والاتّساع بقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ {يوسف: 82}، ثمّ يقول: إنّما يريد أهل القرية باختصار... ومثله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ {سبأ: 33}، وإنّما المعنى بل مكرهم في الليل والنهار، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ {البقرة: 177} إنّما هو لكن البرّ من آمن بالله.

ويورد شواهد في الاتّساع مثل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ {البقرة: 171} فلم يشبهوا بما ينعق، وإنّما شبهوا بالمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنّه جاء لسعة الكلام والإيجاز".²

ويتحدث سيبويه في مواضع كثيرة من الكتاب على ضرورة الحذف لعل تدخل في فنّ البلاغة مثل التخفيف والإيجاز والسعة، ويذكر أنّ العرب قد حبّذته واستحسنته وقد جرت عاداتها عليه ولغتها تشهد بذلك، وقد يستغنون عن بعض الكلام وإن كان ذكره أصلاً في الكلام، ويذكر "أن الحذف لا يكون مطلقاً حيث أردنا الحذف، وإنّما إذا كان المخاطب عالماً به فيعتمد المتكلّم على بديهة السامع في فهم المحذوف".³

ويعرض سيبويه لمبحث بلاغيّ مهم وهو التقديم والتأخير، وقد صدّر كتابه به "يعتبر هو العمدة وصاحب الزيادة فيه، وربّما كان أوّل من طرق سرّ هذا اللون البلاغيّ من العلماء: فأثرى بهذه اللّفة الطيّبة كثيراً من المباحث البلاغيّة، فيقول (في باب الفاعل الذي يتعدّاه فعله إلى مفعول) فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، كقولك: ضرب زيداً عبد الله، وكان حدّ اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدماً، وهو عربيّ جيد كثير، كأنهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهو ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهتمّانهم ويعنيانهم".⁴

وكذلك يتحقق الغرض نفسه إذا تقدّم المفعول على الفعل، كما يتحدث عن التقديم في إنّ لذات الغرض سابق الذكر، لكنّ سيبويه لا يرى البلاغة في التقديم دوماً، "فأحياناً يكون التقديم عنده سبباً في

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 131.

2- الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، ص 52.

3- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، المرجع السابق، ص 71.

4- المرجع نفسه، ص 81.

القبح لا في الحسن، وإن كان الكلام مستقيماً ليس فيه نقص من جانب النحو، فيقول: ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنّه مستقيم ليس فيه نقص، فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

صَدَدَتْ فَأَطَوَّلَتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا *** وَصَالَ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

وأصل الكلام: قلّ ما يدوم وصال. فالتقديم والتأخير عند سيبويه كثيراً ما يأتي للعناية والاهتمام وأحياناً يأتي للتأكيد والتنبيه، وأحياناً يكون لغير علّة بلاغيّة، بل ربّما كان سبباً في قبح الكلام وسوء التركيب".¹

ويتطرق سيبويه لتعريف المسند إليه حيث بيّن أنّ الأصل في المحكوم عليه أن يكون معرّفاً، لأنّ الحكم على المجهول لا يفيد، ولم يقف سيبويه عند بيان هذا، بل تعدّاه إلى نفسية المخاطب الذي يريد أن يفهم عن المتكلّم، فإذا بقي الكلام مجهولاً عنده، أو مازال ملتبساً بغيره فهو كما يمثله ضرب من الألغاز والأحاجي، يقول في باب كان: واعلم أنّه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة فالذي تشغل به كان المعرفة، لأنّه حدّ الكلام لأنّهما شيء واحد، ويميّز بينها وبين قولنا ضرب رجل زيداً، فهما هنا شيئان مختلفان، وفي كان إذا قلت: عبد الله منطلقٌ تبتدئ بالاعراف ثم تنكر الخبر.²

وسنختم حديثنا في البلاغة عند سيبويه بمبحث بلاغيّ خطير كان مدار علم البلاغة عليه وهو النّظم، ففي مواضع كثيرة متفرقة من الكتاب "نلمح فيها أنّ سيبويه قد تناول النّظم واهتم بتركيب الكلمات وتأليف الجمل، وصوغ العبارات وما يكون فيها حسناً وما يكون قبيحاً، ولو أردنا أن نوجز التعبير لقلنا إنّ سيبويه قد اهتم بالنّظم كما اهتم بالإعراب في الكلمة، ذلك النّظم الذي أصبح نظرية خطيرة على يد عبد القاهر بعد أن أطنب في توضيحها وتفصيلها وتطبيقها على كثير من أبواب البلاغة، وحقيقة لا مجال للمقارنة بين النّظم عند سيبويه وعبد القاهر، فالنّظرية تطورت بتطور الأزمان ومرور القرون حتى أصبحت كما نعرفها اليوم من دلائل الإعجاز، ولكّتها على كل حال كانت وليدة في مهدها عند سيبويه وكان يرعاها ويعود إليها الفينة بعد الفينة في مباحث مختلفة من الكتاب".³

وقد مثل سيبويه للنّظم وأوضح متى يكون الكلام حسناً ومتى يكون مُحالاً، ومتى يكون قبيحاً؟ فنجدّه في أوّل الكتاب "يعقد فصلاً يقول فيه: هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومُحالٌ، ومستقيمٌ كذب، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو مُحالٌ كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس، وسأتيك غداً، وأما المُحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول أتيتك غداً وسأتيك

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 84.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 104.

3- المرجع نفسه، ص ص 110، 111.

أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحو ذلك، وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيد رأيت، وكى زيد يأتيك، وأشباه ذلك، أما المحال الكذب فإن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس¹.

يتبين لنا من الأمثلة التي أوردها سيبويه كيف يؤدي تأليف العبارة إلى الحسن أو القبح والاستقامة أو الاستحالة وما تفضي إليه من معنى صادق أو كاذب، فقد يؤدي وضع لفظة في غير موضعها بسبب نفورها أو تناقض الكلام إلى فساد النظم وقبحه.

كما تبين مما ذكرناه أن سيبويه قد أدرك معنى النظم، ولم يكن النحو عنده مجرد إعرابٍ لأواخر الكلمات من رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ أو جزمٍ بل راعى فنون الكلام وحسنه ونظمه، فلا مصوغ لمن ادعى فصل النحو عن البلاغة، بل هما وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

"وإذا كان النظم قد أصبح على يد عبد القاهر بمثابة شجرة عظيمة شاهقة، متعددة الأغصان مثقلة بالثمار، فإن سيبويه هو الذي ألقى البذرة قبل أن تبرز الشجرة أمام العيون بمئات السنين"².

البلاغة عند الفراء (ت 207 هـ):

يعدّ الفراء من أئمة أعلام الكوفة، فهو: "أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي وهذه النسبة إلى الديلم وهو إقليم في البلاد الفارسية... والفراء قد علمت أنه لقبه لا اسمه، والمعروف بالفراء من يخطط الفراء أو يبيعها، كما يتبادر من صيغة النسب، كبرّار وعطار، ولم يكن صاحبنا ولا أحد آبائه في شيء من هذا، فقل: إنه أطلق عليه لأنه كان يفري الكلام، أي يحسن تقطيعه وتفصيله، فهو فعّال من الفري صيغة مبالغة، وهمزته بدل من الياء لا من الواو"³.

ولد بالكوفة في عهد أبي جعفر المنصور ونشأ بها وتربى على شيوخها، "وتلقّى عن الكسائي وغيره وتبحّر في علوم متنوعة، فكان فذاً في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها، والطبّ والفلسفة والنجوم وتقصى أطراف علم النحو"⁴، بلغ الفراء مكانة عالية في العلم، "وكان زعيم الكوفيين بعد الكسائي، ويقول ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلّصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تُنازع ويدعّمها كل من أراد، ويتكلّم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب"⁵، وكان صاحب علم

1- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص 111.

2- المرجع نفسه، ص 114.

3- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط 1، ج 1، 1955 ص 08.07 من مقدمة الكتاب.

4- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 119.

5- مقدمة معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، المرجع السابق، ص 08.09.

موسوعيّ جمع إلى علم الكوفيين علم البصريين فأخذ عن الكسائي الكوفي، كما أخذ عن حبيب بن يونس البصري، حتى إنهم كانوا يطلقون عليه أمير المؤمنين في النحو، ألف كتاب معاني القرآنوهو من أهم الكتب التي ألفها، " فقد جمع فيه النحو واللغة والتفسير والرواية، ويعد موسوعة للعلوم التي يهتم بها المتعلمون في ذلك العصر، ولم يكن معاني القرآن كتاب تفسير بالمعنى المعروف فالفراء لم يفسر القرآن آية آية كما اعتاد المفسرون المتأخرون أن يسلكوا سبيل التفسير، وإنما يتخير من الآيات ما أشكل فحسب، متبّعاً الترتيب التنازلي في القرآن".¹

وكتاب معاني القرآن يزخر بالمسائل البلاغية التي " يدخل بعضها في علم المعاني، وبعضها في البيان والآخر في البديع. ونستهل القول بأبحاثه التي تتصل بعلم المعاني، فنذكر أولاً الحذف ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ {البقرة: 175} ينقل ما رواه عن الكسائي، وفي هذه أن يراد بها: ما أصبرك على عذاب الله، ثم تلقى العذاب فيكون كلاماً، كما نقول: ما أشبه سخاءك بحاتم، فحذف المضاف من الآية وهو كلمة العذاب...، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْلُؤْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ {الأنبياء: 42} يريد من أمر الرحمن، فحذف الأمر وهو يُراد، وفي قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ﴾ {الحج: 19} أي في دين ربهم، فالحذف هنا جائز بلاغة لأن المعنى معلوم كما قال الفراء، ومعنى ذلك أنه حذف للإيجاز والاختصار".²

ويتطرق الفراء للكناية في مواضع عديدة في كتابه " فقال في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ {البقرة: 235} السرّ في هذا الموضع النكاح، ويرويه عن ابن عباس، وينشد لامرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي *** كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يَشْهَدَ السِّرَّ أَمْثَالِي³

ونراه في مواضع أخرى يعرض إلى التعقيد المعنوي " فعقد مقارنةً بين قول العباس بن أحنف:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا *** وَتَسْكَبَ عَيْنَايَ الدَّمْعَ لِتَجْمَدَا

وبين قول رَوْح بن حاتم، وهو واقف على باب المنصور في الشمس لما سئل عن سبب وقوفه، فقال: ليطول وقوفي في الظل، ويعقب على هذا بقوله: هذا كلام مكشوف واضح ككلام الربيع، أي في الحسن والجمال، وأنه أفضل من الكلام الغامض المعقد⁴، فالفراء يحبذ الكلام المختصر المفيد البعيد عن التعقيد والغموض، ويصف كلام روح بن حاتم بالحسن والجمال ويشبهه بكلام الربيع.

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 134.

2- المرجع نفسه، ص 136.

3- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط1، 1976م، ص 15.

4- المرجع نفسه، ص 19.

كما نجده يتحدث عن مبحث بلاغيّ آخر وهو التعبير بالمضارع عن الماضي والعكس " والمعروف عند البلاغيين أنهم يفسرون العدول عن التعبير بالماضي إلى المضارع بأنّ المراد استحضار الصورة وتمثيلها حتى نراها رأي العين، فيكون ذلك أقوى أثراً لشدة اتّساق الصورة وتعلقها بالنفوس، ويقولون أيضاً سرّ العدول عن المضارع إلى الماضي أنّهم يريدون تأكيد وقوع الفعل ولا سبيل إلى الشكّ فيه، والفراء حين يعرض لبعض الآيات التي ورد فيها العدول عن الماضي إلى المضارع ترى طبعه النّحوي يغلب عليه فيقدّر أحياناً فعلاً مناسباً لسياق الكلام قبل الفعل المضارع ولا يرى فيه علّة بلاغيّة، كما قال في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود: 74)، ولم يقل جادلنا، ومثله في الكلام لا يأتي إلا بفعل ماضٍ كقولك: لما أتاني أتيت¹.

فهنا نجد الفراء يقدّر فعلاً ولا يبيّن السرّ البلاغيّ، لكنّه عندما يقدّر هذا الفعل ينتحي بذلك سمت كلام العرب فيقول: كقولك لما أتاني أتيت.

وتحدّث الفراء عن مسائل بلاغيّة كثيرة، مثل الاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل والكناية، ولكنّ الحديث عن ذلك يطول، وسنختم بلونٍ بلاغيّ تعرّض له الفراء وهو الاستعارة التهميّة.

" فإنّ الفراء حين يتناول هذا الأسلوب البلاغيّ لا يقف موقف الحائر وإنّما يجد له نظيراً من كلام العرب وأشعارهم، ففي قوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَكُمُ غَمًّا بَغَمٍ﴾ (آل عمران: 153)، فيقول الإثابة ههنا في معنى عقاب، ولكنّه كما قال الفرزدق:

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه *** أذاهم سوداً أو مُحَدَّرَجَةً سُمرا

وقد يقول الرجل الذي قد اجترم إليك، لئن أتيتني لأثيبنك ثوابك، معناه لأعاقبتك، وربّما أنكره من لا يعرف مذاهب العربيّة، وقد قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: 21)، والبشارة إنّما تكون في الخير، فقد قيل ذاك في الشر، فالإثابة هنا بمعنى العقاب².

لقد وضّح الفراء وشرح الاستعارة التهميّة وتغلغل في أعماق المعنى، حيث بيّن أنّ قصد القرآن منها التهمك اللادّاع الميرحتي يضع من شأن المخاطبين بذلك الأسلوب العجيب.

وخلاصة القول إنّ كتاب معاني القرآن كان زاخراً بالمباحث البلاغيّة التي اغترف منها العلماء والمفسّرون فوجدوا فيه ما يشفي غليلهم ويروي ظمأهم.

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 152.

2- المرجع نفسه، ص 160.

البلاغة عند المبرّد (ت 285هـ):

من أئمة نحاة البصرة، وهو "محمد بن يزيد بن عبد الله الأكبر الثمالي، وقيل المازني، الملقّب بالمبرّد قرأ كتاب سيبويه على الجرّمي، ثمّ على المازني. إمام في العربيّة. غزير الحفظ والمادة، تصانيفه كثيرة مشهورة".¹

ويقول أبو الطيّب في مراتب النّحويين مبيناً مكانة المبرّد " فأخذ النّحو عن المازني والجرمي جماعة برع منهم أبو العباس محمد بن يزيد الثّمالي، فلم يكن في وقته ولا بعده مثله".² له مصنّفات عديدة من أشهرها كتاب الكامل في اللّغة والأدب، وكتاب المقتضب الذي يعدّ من أعظم كتب النّحو التي وصلتنا بعد كتاب سيبويه لأنّه عالج فيه مسائل النّحو والصرف بأسلوب واضح. وأمّا كتابه الكامل في اللّغة والأدب "وهو على الرغم ممّا يدل عليه اسمه، غير مقصور على اللّغة والأدب، وإنّما تناول كثيراً من المسائل البلاغيّة، فقد روى أبو العباس أقوالاً عامّة في البلاغة... كما تناول الإيجاز والمساواة والإطناب... وكثيراً ما كان يشير إلى بعض الصيغ التي خرجت عمّا وضعت له كصيغة الاستفهام في قول عبد الله بن معاوية:

أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة *** فإن عرّضت أيقنّت أن لا أخاً ليا

فقد وقف أبو العباس عنده قائلاً: إنّهُ تقرير وليس باستفهام، ولكن معناه إنّي بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من إخائك شيئاً".³ وهذا ما رأيناه سابقاً أنّ الاستفهام يخرج عن معناه الظاهر. ومن المسائل التي تحدث عنها المبرّد "ما سمّي بالتعقيد اللفظي فيقول: ومن أقبح الضرورة وأهجن وأبعد المعاني قوله يعني الفرزدق: وما مثله في النّاس إلا مملّكاً *** أبو أمّه حيّ أبوه يقاربه وبعد أن شرح البيت وبين مراد الشاعر منه يقول: ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول، وما مثله في النّاس من حي يقاربه إلا مملّك أبو أمّ هذا المملّك أبو هذا الممدوح، فدلّ على أنّه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأنّ هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد".⁴

فالمبرّد لاحظ في هذا البيت من التعقيد بسبب التقديم والتأخير وانفصال الكلام بعضه عن بعض "فالبيت كما ترى غير فصيح لضعف تأليفه الناشئ عن تعقيد ألفاظه وصعوبة استخلاص معناه، فالمعنى

1 البلغة في تراجم أئمة النّحو واللّغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000م ص 286.

2 مراتب النّحويين - عبد الواحد علي- أبو الطيب اللّغوي-، ص 98.

3 الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، ص 61.

4 أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 206.

الذي حاول الفرزدق أن يعبر عنه في هذا البيت هو: وما مثله- يعني الممدوح- في الناس حيّ يقاربه- أي أحد يشبهه في الفضائل إلا مملّكا- يعني هشام بن عبد الملك بن أخت الممدوح- أبو أمه- أي أبو أم هشام- أبوه- أي أبو الممدوح، فالضمير في «أمه» للمملّك، وفي «أبوه» للممدوح.

فالشاعر في البيت قد فصل بين «أبو أمه» وهو مبتدأ، و«أبوه» وهو خبر المبتدأ بأجنبي وهو «حي» وكذلك فصل بين التّعت والمنعوت «حي يقاربه» بأجنبي وهو «أبوه»، ثم قدّم المستثنى وهو «مملّكا» على المستثنى منه، وهو «حي يقاربه»¹.

كما تحدّث المبرّد عن مبحث بلاغيّ معروف وهو الالتفات الذي عرفته العرب حيث كانت تتبرك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، "ويستشهد على ذلك بقول ذي الرّمة:

وما كنت مذ أبصرتني في خصومة *** أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

من آل أبي موسى ترى القوم حوله *** كأنهم الكروان أبصرن بازيا

فقال (ترى) ولم يقل ترين، وكانت المخاطبة أولا المرأة².

والالتفات كما نرى ظاهرة بلاغيّة لها ذوقها وسرّها البيانيّ، وهو من فنون اللّغة العربيّة التي توسّع علماء البلاغة المتأخرون في شرحها لكننا نجد أنّ المبرّد قد سبق إلى ذكرها والحديث عنها.

وهناك بعض الألوان البلاغيّة التي كان لها شأنها في تاريخ البلاغة ولم يغفلها المبرّد: فقد لاحظ "أنّ في العبارة البلاغيّة فروقا طفيفة تخفى على الخاصّة، فضلا عن العامّة، فوضّح الفروق بينها، وجعل لكل عبارة منها موضعا لا يصحّ فيها الآخر، فمن ذلك ما رواه ابن الأنباريّ عن الكندي المتفلسف أنّه ركب إلى أبي العباس المبرّد وقال له: إنّني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس في أيّ موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثمّ يقولون: إنّ عبد الله قائم، ثمّ يقولون: إنّ عبد الله لقائم، فالألفاظ متكرّرة والمعنى واحد، فقال المبرّد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني³.

والجدير بالذكر أنّ المسائل البلاغيّة التي تحدث عنها المبرّد كثيرة ولا يمكن التفصيل فيها في بحث مثل هذا وإنّما اكتفينا بالإشارة إلى بعضها.

1- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2009م، ص 21.

2- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 207.

3- المرجع نفسه، ص 212.

وسنختم حديثنا عن البلاغة عند المبرد بالمقارنة التي عقدها بين نظم القرآن ونظم الشعر، حيث "قارن بين نظم القرآن ونظم الشعر، ليدلنا أن الشعر مهما ارتقى، وبلغ منزلة عالية فإنه لن يصل في بلاغته إلى الدرجة التي يتسنىها القرآن، ولذلك فهو يقارن بين قول مروان ابن أبي حفصة:

زَوَامِلُ لِلْأَشْعَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ *** بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا *** بِأَوْسَاقِهِ أَوْرَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

وبين قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ {الجمعة: 05}.

ويعقد أيضا مقارنة بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ {البقرة: 179} وبين قول أردشير بن بابك: القتل أنفى للقتل ... فيقول: إذا قتل القاتل امتنع غيره عن التعرض للقتل، فهذا أحسن الكلام من كلام مثله، فإذا جاء قوله عز وجل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ جاء مالا اعتراض عليه ولا معارضة له، وقوله يا أولي الأبواب خطر ثان، فتبارك الله الذي ليس كمثله شيء¹. ولا يخفى على المطلع في كتب البلاغة أن المقارنة بين نظم القرآن ونظم الشعر قد دارت في هذه الكتب عند المتقدمين والمتأخرين على حد سواء لبيان أن بلاغة القرآن لن تبلغها أي بلاغة مهما علت.

البلاغة عند ثعلب (ت 291هـ):

أبرز أعلام الكوفة في النحو واللغة، وهو "أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب... كان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، مقدماً عند الشيوخ منذ هو حدث، وكان ابن الأعرابي إذا شك في شيء قال له: ماتقول يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه"².

له مصنفات عديدة سقط معظمها ولم يصلنا غير كتاب مجالس ثعلب الذي يحتوي على أقوال في النحو واللغة والرواية والأشعار والأمثال والأقوال المأثورة، وكتاب الفصيح ذي الهدف التعليمي، أما الكتاب الثالث والأخير الذي وصلنا من كتب ثعلب، فهو كتاب (قواعد الشعر)، وهو كتاب له أهميته القصوى نظراً لما يحويه من بلاغة وشعر ونقد... يعتبر من أقرب منابع التي اغترف منها ابن المعتز أدبه، وتأثر به في (كتابه البديع) الذي طارت شهرته بين الأقدمين والمحدثين. كما أنه يضيف بآرائه البلاغية نبعا آخر

1- أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص ص 223، 224.

2- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد 01، 1978م، ص 102.

إلى منابع التي خلفها النّحاة في تاريخ البلاغة، فكان بذلك حلقة اتّصلت بأخواتها من الحلقات السابقة وساعدت على مدى التطّور الذي ظفرت به على أيدي النّحاة في هذه الفترة من فترات تاريخها الخصب".¹

يتحدّث ثعلب عن كثير من المسائل البلاغيّة ومنها التّشبيه ويدعمها بالشّواهد الشعريّة، "وينقل عن الرواة زعمهم في بيت امرئ القيس بأنّه أحسن شيء وجد في تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد.

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً *** لدى وكرها العناب والحشف البالي

ويذكر أمثلة أخرى تعدّ من عيون الشّعري في العصر الجاهليّ الإسلاميّ ويكثر في حشدها، إذ كان للشّاهد الشعريّ أثره في رسم الخطوط الأولى في البديع وعلم البلاغة.

يقول الشّاعري في وصف رغبة اللّبن:

يحسبه الجاهل ما لم يعلم *** شيخا على كرسيه معمّما

يعقب على ذلك بقوله: فإنّ شَبّه وطب لبن ملفوف بكساء، بشيخ في هذه الصّفة".²

ونختم بمسألة بلاغيّة تحدّث عنها ثعلب وهي حسن الخروج والذي يسميه المتأخرون حسن التخلّص، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر، حيث "يتحدّث ثعلب عن حسن الخروج عن بكاء الطلل ووصف الإبل وتحمل الأظعان، وفراق الجيران بغير (دع ذا) و (عد ذا) و (اذكر ذا) من صدر إلى عجز لا يتعدّاه إلى سواه ولا يقرنه بغيره، وربّما كان ثعلب هو أوّل من تحدّث عن حسن الخروج، ويستشهد لهذا النوع بقول حسان: إن كنت كاذبة الذي حدّثني *** فَنَجَوْتَمَنجِي الحارث بن هشام

ترك الأحيّة أن يُقاتل دُونهم *** ونجا برأس طمّرة ولجام".³

كانت هذه شذرات من بعض المسائل البلاغيّة التي وردت عند ثعلب، وإلا فإنّ مصنّفنا لا يكفي لحصر كلّ مسائله ومباحثه البلاغيّة.

وبعدما عرضنا للبلاغة عند أبرز النّحاة، وإن كانت مجرد إشارات بلاغيّة أوردناها بغرض الاختصار فإنّه يمكن القول بأنّ النّحاة كان لهم أثر كبير في وضع البذور الأولى للبلاغة.

ثانياً: أثر المفسّرين في البحث البلاغي

نزل القرآن الكريم على العرب وهم أفصح النّاس وأبلغهم بلغتهم العربيّة التي كانوا يتفاخرون بها ويسيّمون المساجلات والمناظرات في الأسواق والنواصي يقدمون ويعرضون أحسن ما لديهم، "وقد أثر القرآن تأثيراً كبيراً في نشأة البلاغة وتطورها، حيث كان المعجزة الكبرى التي تحدّى بها الرسول العرب أن يأتوا

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 228.

2- المرجع نفسه، ص 230.

3- المرجع نفسه، ص 233.

بأقصر سورة منه على ما اشتهروا به من فصاحة وبلاغة، ودعاهم هذا إلى المقارنة بين أسلوب القرآن وما يخرجه من صور بيانية، وألوان بديعية فوق ما عليه من جمال في النظم وروعة في التعبير، وبين أساليبهم الراقية الأخاذة من شعرونثر¹.

لقد كان البحث في القرآن ومحاولة فهمه هو الدافع لتأليف مصنفات التفسير وتنوعها وزخمها حيث أولت هذه المصنفات للبلاغة أهمية بالغة، "وعملت على تجسيد دروبها وصورها في العديد من مسائل وقضايا التفسير، وهي فضيلة أملاها القرآن الكريم بدءاً، وهو كتاب العربية الأكبر وبلاغته لا تقارن بحال، وكان لهذه الفضيلة أن عمدها إليها المفسرون في الوقوف على مراده تعالى"².

"هذا ومنذ أن أشرقت شموسه، وسطعت أنواره على أرض جزيرة العرب، وعمّ المعمورة ضياؤه ودان به المسلمون، وتعبّد به المؤمنون وانتشروا روح إعجازه، سارعت عقول العلماء، وتتابع فتوح الفقهاء والمفسرين إلى مدارسته وتدبره، وتحليل آياته، وتدبر معانيه، واستنباط أحكامه، وقد خاض في لجج التفسير بعد عصر النبوة جهابذة نحارير، وفطاحلة مغاوير في فنون القول والبصر بالعربية وعلومها"³.

إنّ القرآن الكريم هو أبلغ كتاب عرفته الإنسانية عبر تاريخها الطويل، و"لم يحدث في تاريخ البشر أنّ أمة من الأمم اعتنت بكتابتها السماوي كما اعتنت به أمة الإسلام، ولم ينل كتاب من الرعاية والحفظ والإجلال والإكبار مثل الذي ناله هذا الكتاب المجيد"⁴.

نلاحظ أنّ القرآن الكريم كان الدافع لهؤلاء وغيرهم في تنوع التفاسير، فالكلّ يحاول فهمه ومعرفة مراد الله من الآيات، يبحثون في غريبه، وفي متشابهه وفي خصائصه، في ألفاظه ومعانيه، فيتبين جماله الفني وتأثيره في النفوس.

وكانت كتب السابقين من المفسرين تحوي مسائل بلاغية كان من أبرزها كتاب معاني القرآن للفرّاء الذي ذكرناه سابقاً، وهو من عنوانه واضح بأنّه كتاب تفسير لآيات القرآن الكريم، وكذلك كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة يبحث في تفسير القرآن مبيناً مجازة وبلاغته وإعجازه، كما عرض ابن جرير الطبري في تفسيره لكثير من أنواع المجاز، والزمخشري في كتابه الكشف نثر كثيراً من أنواع البيان والقواعد البيانية.

1- أثر النّحة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 42.

2- قيمة البلاغة في الدّراسات القرآنيّة - مصنّفات التفسير أنموذجاً، بن نعيمة عبد الغفار، مجلّة الحضارة الإسلامية، كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، العدد 29، رمضان 1437هـ/ جوان 2016م، ص 645.

3- موسوعة التفسير البلاغيّ، نخبة من مجمع علماء القرآن الكريم بالشارقة، المجلد 01، ط 1، 2023م، ص 15.

4- المدخل إلى النّحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمار ساسي، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 1، 2007م، ص 68.

"وثمة جهود أخرى بُذلت في تصنيف كتب تناولت القرآن للكشف عن خصائصه وشرح غريبه وتأويل مشكله والتعرّف على جمال أسلوبه وبيان أثره في النفوس، منها ما صنعه ابن قتيبة والطبري والرمّاني وأبو علي الفارسي وابن جني والباقلاني والشريف الرضي والعلوي والزمخشري والسيوطي".¹

ويتّضح لنا ممّا ذكرناه أنّ المفسّرين وأصحاب الدراسات القرآنيّة كان لهم نشاط جمّ في البحوث البلاغيّة بغية الوصول إلى حقيقة الإعجاز الذي سنأتي إلى بيانه.

ثالثاً: إعجاز القرآن والبحث البلاغي

عرفنا سابقاً أنّ القرآن الكريم منذ أن نزل على العرب وهم الفصحاء والبلغاء أفحمهم وأعجزهم ففكرة إعجاز القرآن إذن "قديمة موهلة في القدم، إذ أنّ أصولها ترجع إلى أوائل نزول القرآن الكريم فحين نزل جبريل الأمين بالقرآن الكريم على خاتم المرسلين سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب آنذاك قد بلغوا القمّة في الفصاحة والبيان... فلمّا سمعوه أصابهم الدهشة، ووقفوا أمام روعة بيانه حيارى مذهولين، فكان إعجازه عند هؤلاء القوم ينفذ إلى أحاسيسهم ومشاعرهم فيستولي عليها".²

لقد أثر القرآن الكريم في مشرقي قريش صغيّره وكبيريهم، رئيسهم ومرؤوسهم، غير أنّ تأثيره في رؤسائهم كان أشدّ، وفي فصحاءهم كان أقوى، لأنّهم كانوا يتقنون فنون الكلام وأساليبه، وأمّام هذا التأثير القويّ الذي أدهشهم وأذهلهم، وأوقعهم في حيرة انقسموا إلى فريقين: فريق أذعن وسلّم وآمن واهتدى وفريق كابد وعاند ورأى أنّ خير طريقة للخلاص من تأثير هذا القرآن الانصراف عن سماعه، وصرف الناس أيضاً، فنزل القرآن على لسانهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ {فصلت: 26}، فعاندوا وحينئذ تحدّاهم القرآن أن يأتوا بمثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ {الطور: 33-34}، لكنهم عجزوا أن يأتوا بمثله أو بآدنى من ذلك بسورة أو آية مثله.³

ويبدو أنّ إدراكهم لإعجاز القرآن كان فطرياً، فلم يحتاجوا إلى دراسة الأساليب وطول النظر في بيانه، وإنّما عرفوا الإعجاز بفطرتهم العربيّة السليمة لأنّهم كانوا أهل ذوق وحسّ رفيع، وكانت العربيّة لديهم سليقة وسجيّة.

"ولكن بعد أن تقدم الزمن، وانتشر المسلمون في أرجاء الأرض بانتشار الإسلام في الأمصار، وابتعدوا عن البيئة العربيّة السليمة، واختلطوا بغيرهم من أبناء البلاد المفتوحة، لم يعد إعجاز القرآن يدرك

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 43.

2- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيّد شيخون، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978م، ص 7.

3- المرجع نفسه، ص 11.

بالفطرة، وإنّما صار إدراكه يتطلّب دراسة واعية ومستفيضة للغة العربيّة، وإحاطة بغريبها، ومعرفة تامّة بأساليب التعبير فيها، لتنمو لدى من يريد التصدّي لمعرفة الإعجاز ملكةً تمكّنه من إدراك هذه الناحية في القرآن العظيم، فانتقل القرآن من مرحلة التذوّق الفطري إلى مرحلة التذوّق العلمي".¹

يعني هذا أنّ الإعجاز الذي كان يدركه الجميع أصبح من اختصاص فئة معيّنة من المسلمين، وقد أكثروا من التساؤلات حول إعجاز القرآن الكريم هل هو في لفظه؟ أم في معناه؟ أم في الغيبيات؟ أم في التشريعات والأحكام؟

لمع في سماء هذا الفنّ ثلّة من العلماء تحدثوا في الإعجاز وفي البيان، فأصبح البحث في إعجاز القرآن هو الهدف من البلاغة العربيّة، ومن هؤلاء العلماء أبو عبيدة (ت 207 هـ) الذي ألف كتاب مجاز القرآن السابق ذكره، حيث عدّه بعضهم كتاب تفسير، وعدّه آخرون كتاب إعجاز، فكان أبو عبيدة في عمله هذا يريد أن يدلّل على عربيّة القرآن وفصاحته وأنّه لم يأت بغريب لم تألفه العرب.

ومن الأعلام البارزين في البحث في وجوه الإعجاز الجاحظ (ت 255 هـ) الذي تصدّى للدفاع عن القرآن ودلّل على عجز العرب عن الوقوف أمام فصاحته ويأسهم عن معارضته.

"ثمّ جاء بعد الجاحظ ابن قتيبة المتوفى سنة (276 هـ) فندب نفسه للدفاع عن القرآن الكريم فعمد إلى تأليف كتابه مشكل القرآن، وقد ركّز ابن قتيبة اهتمامه على الآيات التي كانت موضع جدل ونقاش... وقد استهل ابن قتيبة كتابه هذا بمقدمة تناول فيها صفة القرآن، وأنّه المعجزة الكبرى التي نسخت سالف الكتب السماوية مشيدا بعجيب نظمه، وعظيم معانيه، مع قلّة ألفاظه ومبانيه، ودلّل ابن قتيبة على ذلك بآيات من القرآن لينبّه على ما أودعه الله فيها من المعاني بأسلوب لطيف".²

ومن الآيات التي تلمّس فيها ابن قتيبة روعة أسلوب القرآن وبيانه "قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ {الأعراف: 199}، حيث تدبّر هذه الآية ووقف على معانيها فقال كيف جمع الله له- أي الرسول صلى الله عليه وسلم- بهذا الكلام كلّ خلق عظيم، لأنّ في أخذ العفو صلة للقاطعين والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحرمات، وإنّما سيّ هذا وما أشبهه عرفا ومعروفاً لأنّ كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتزنيه النفس عن ممارسة السّفية".³

1- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيّد شيخون، ص 13.

2- المرجع نفسه، ص ص 16، 17.

3- مناهج بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م، ص 57.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

إنّ الحديث عن وجوه الإعجاز ومذاهب العلماء فيها واختلاف وجهات نظرهم إزاءها يطول، لكننا سنتحدّث بإيجاز عن هذه الوجوه، ثمّ نبسط القول في الوجه الذي يعنينا وهو النّظم.
"إنّ القرآن معجز من وجوه مختلفة بعضها خاص بالعرب الذين درسوا اللّغة العربيّة، وتذوّقوا بلاغتها، وبعضها الآخر عام يدركه العقلاء من النّاس على اختلاف أجناسهم.

أمّا ما يخصّ العرب من ذلك فهو بديع نظمه، وعجيب تأليفه وسموّه في البلاغة إلى الحدّ الذي يعجزُ الخلق عن الإتيان بمثله... وأمّا ما يدركه من ذلك النّاس كلهم فيتلخّص في ثلاثة وجوه:
الوجه الأوّل: ما فيه إخبار عن المغيبات...

الوجه الثاني: ما فيه من الإخبار عن الماضي السحيق، من حين خلق الله آدم، إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلّم، ممّا لم يكن يعلمه أحد من النّاس...

الوجه الثالث: ما يتضمّنه هذا الكتاب من التشريع العظيم الدقيق، المتعلّق بشقّى أمور الحياة الخاصّة والعامة، والذي عنت لعظمته جباه علماء التشريع والقانون".¹

وسنركّز حديثنا عن النّظم، وما ينطوي عليه القرآن الكريم من الإعجاز البلاغي.
وكلّما ذكر لفظ النّظم تبادر للأذهان إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ونظريّته الشهيرة نظريّة النّظم والتي سنبسط القول فيها، بعد أن نتطرّق إلى النّظم قبل الجرجاني.

رابعاً: النّظم قبل عبد القاهر الجرجاني

لم يكن عبد القاهر الجرجاني أول من تحدث عن النّظم، وإن كان قد بسط القول فيه فحوّله إلى نظرية مرموقة، فلقد ترددت هذه الكلمة على أقلام النّحاة قبله بمئات السنين، "فسيبويه (ت 180 هـ) يتحدث عن معنى النّظم، وائتلاف الكلام، وما يؤدي إلى صحته وفساده، وحسنه وقبحه في مواضع كثيرة ومتفرقة من الكتاب، تحدث عن مفهوم النّظم مراعيًا فيه أحوال النّحو، ومعتمداً فيه على نوع الدقة في الاستعمال، حيث يذكر أنّ لكل استعمال معناه، وتغيير الاستعمال لا بد أن ينشأ عنه تغيير المعنى.

وأما الجاحظ (ت 255 هـ) وابن قتيبة (ت 276 هـ) وقد ذكرناهما سابقاً فالجاحظ يعبر عن النّظم "في قوله وأجود الشعر إذا رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فنعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك

1-1 الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيّد شيخون، ص 22، 23.

سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان... وابن قتيبة كانت له اهتمامات بالعلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة".¹

كما تحدّث المبرّد (ت 285هـ) عن النّظم وأنه أساس البلاغة وحسنها فهي تكمن في اختيار الكلام وتجويد المعنى، وحسن النّظم بحيث تكون كل كلمة مقاربة لأختها ومساندة لها.

والسيرافي (ت 358هـ) يوضح المراد من علم النّحو وأنه ليس مجرد حركات إعراب فقط وإنّما هو وضع الكلمات وترتيبها، وأن المعاني هي معاني النّحو مع مراعاة الصواب في التقديم والتأخير.

والرّماني (ت 386هـ) فإنه في حديثه عن التلاؤم، فإنه يقصد به حسن النّظم، وجودة السبك حتى يحلو في السمع، ويخفف على اللسان.

والخطابي (ت 388هـ) يذكر أن النّظم يحتاج إلى ثقافة ومهارة فهو ليس سهلا ميسورا.²

كما نجد أبا هلال العسكري (ت 398هـ) يعقد الباب الرابع في كتابه الصناعتين في البيان عن حسن النّظم وجودة الرصف والسبك... ولا يكتفي بالدلالة على النّظم والإشارة إليه، إنّما يبين متى يكون النّظم حسنا، ومتى يكون رديئا، ويظهر في بيانه لذلك أنه لا يفرق بين النّظم والرصف والسبك، ويجعلها ألفاظا مترادفة.

وأما أبو بكر الباقلاّني (ت 406هـ) فذكر "أنّ القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه، وأبوابه، من تعديل النّظم وسلامته، وحسنه، وبهجته، وحسن موقعه في السمع وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول... حتى يحلّ محلّ البرهان ودلالة التأليف ممّا لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة".³

ونختم بالقاضي عبد الجبار (ت 413هـ) فقد أشار إلى النّظم وإلى فكرة توحي معاني النّحو والتي تعني ضم الكلمة بعضها إلى بعض مع مراعاة الإعراب والحركات، وبذلك يدخل النّحو ويجعله ركناً أساسياً في النّظم.⁴

وممّا ذكرنا يتبيّن لنا أن النّظم كان شائعاً قبل الجرجاني، ومتداولاً بين العلماء إلا أنه لم يكن "يرقى إلى مستوى النظرية، ولم يكن محيطاً بألوان البلاغة كافة، ولم يشمل جميع التغيرات، وإنّما كان نتفا متفرقة هنا وهناك لا يجمعها رابط، ولا ينظمها سلك... وإنّما تحدّدت معاملته واتّضحت على يد عبد

1- أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص 375.

2- المرجع نفسه، ص 377.

3- دراسات حول نشأة البحث البلاغي، فريد محمد بدوي النكلاوي وإسماعيل محمد الأنور، جامعة الأزهر، كليّة الدّراسات الإسلامية والعربيّة ص 73.

4- ينظر أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، المرجع السابق، ص 377.

القاهر دون غيره، فهو عمل مدروس ومحور يدور حوله كتاب الدلائل كلّ... فعبد القاهر- إذن هو الواضع لنظرية النّظم والفضل يرجع إليه في تفسيرها وتوثيقها".¹

خامساً: عبد القاهر الجرجاني ونظرية النّظم

"هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، برع في علوم العربيّة حتى كانت له الإمامة فيها في عصره ومات سنة 471 هـ".²

"أخذ النّحو عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، واقتصر على الأخذ منه لأنّه لم يلق شيخاً مشهوراً في علم العربيّة غيره، وكان عالماً بالنّحو والبلاغة، وإماماً من كبار أئمة العربيّة والبيان، شافعي المذهب".³

له مؤلفات عديدة تشهد له بالعلم الواسع والذوق المرفه والفكر النافذ، ومن أبرزها دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وعبد القاهر الجرجاني من "الشخصيات الفذة التي وقفت على أسرار البيان العربي ودقائقه، وثقافته واسعة الجوانب".⁴

وكلّما ذكر عبد القاهر الجرجاني ارتسمت في الذهن نظريّته الشهيرة نظريّة النّظم، ذلك أنّه أسّس أصولها وأرسى قواعدها وبسط فيها القول، فهو يعد زعيمها بلا منازع.

"ويأتي عبد القاهر الجرجاني فيتزعم نظريّة النّظم في إعجاز القرآن، وقد فصل فيها وعرضها عرضاً مستفيضاً وانتقل من حيز الألفاظ إلى حيز المعاني، وهو متكلم وأديب... والجرجاني هو أوّل من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي".⁵

ألّف الجرجاني كتابيه الشهيرين اللّذين ارتبطا بالبيان والبلاغة وهما دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وقد تجلّت فيهما شخصيته وعقليته التي تمتاز بالعلم الواسع والذوق الرّفيع.

وقد كان تأثير الكتابين عظيماً، حيث وجدنا أنّ الكثير من المهتمين بالبلاغة اقتفوا أثره واتبعوا نهجه منتفعين مما جاء في هذين الكتابين... والحق أن كتب البلاغة وموضوعاتها كانت اجتاراً لما كتبه الإمام.

1- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 378، 379.

2- الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، ص 89.

3- أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، المرجع السابق، ص 371.

4- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص 23.

5- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبويّة حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، تقديم محمد بهجة البيطار، مؤسسة الرسالة، ط2، 1980 ص86.

خصّ الجرجاني كتابه الدلائل لبحث الإعجاز فهو "إنّما كتبه لغرض ديني، ويناقدش عبد القاهر مسائل في البلاغة والنحو ويقول بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها".¹

يرى عبد القاهر الجرجاني أن إعجاز القرآن يرجع إلى نظمه فقط فهو الوجه الوحيد عنده للإعجاز. "ولمّا كان النّظم هو الوجه الوحيد الذي حصل الإعجاز من جهته عند عبد القاهر فإننا نراه يهتم به اهتماماً عظيماً ويفصل الكلام فيه، فيكشف عن حقيقته، ويبين مقوماته".²

كما يبين أن النّظم هو سرّ الفصاحة فيقول: "وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النّظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟".³

يذكر الجرجاني أن المقصود بالنّظم ليس اتصال الألفاظ أو ترابطها أو تتاليها من حيث هي حروف أو أصوات، وإنّما هو تتالي معانيها، إذ يقول: "اعلم أنّ ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها".⁴

ويبدو ممّا ذكرنا أن عبد القاهر الجرجاني أولى اهتماماً بالغاً بعلم النّحو وجمع بينه وبين البلاغة وهو ما سماه بالنّظم، ويرى أن إعجاز القرآن "ليس في ألفاظه المفردة، فاللفظ المفرد لا قيمة له في ميزان البلاغة، وإنّما البلاغة في الأسلوب والصياغة أو النّظم، وما النّظم عند الجرجاني إلا ائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة الموضع الذي يفرضه معناها النّحوي، فالمعنى النّحوي للكلمة هو الذي يفرض تقديمها أو تأخيرها، تعريفها أو تنكيرها، ذكرها أو حذفها".⁵

يوضّح عبد القاهر في موضع آخر أن معاني النّحو ليست في الإعراب فقط، ولا في معرفة القواعد النّحوية، وإنّما في معرفة معاني العبارات "ولذلك فإنّ البدوي الذي لم يسمع بالنّحوقط، ولم يعرف المبتدأ والخبر يحسن النّظم كما لم يحسنه المتقدم في علم النّحو، لأنه يعرف الفرق بين أن يقول: جاءني زيدٌ ركباً، وبين قوله: جاءني زيدٌ الركب، ولا يضره أن يجهل عبارة النّحويين بأن يقولوا في (راكب) أنه حال

1- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبويّة حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيّد شيخون، ص 37.

3- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دون ط)، (دون ت)، ص 44.

4- المرجع نفسه، ص 81.

5- الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، ص 93.

وإذا قال (الراكب) كان صفة جارية على زيد، لأنه يعرف في قولهم زيد منطلق أن زيدا مُخَبَّر عنه ومنطلق خبر ولا يضره أن لا يعلم أنا نسبي زيداً مبتدأ وهكذا".¹

العلاقة بين النظم والنحو:

تصادفنا كثيراً العلاقة بين النظم والنحو في معظم صفحات كتاب دلائل الإعجاز، لأنَّ عبد القاهر عدَّ النحو أصلاً ضرورياً للنظم، وفي الحقيقة أنَّ هذه العلاقة هي الغرض من تصنيف الكتاب. وفي هذا المقام وجب "أن ننوّه بشأن النّحة الأقدمين، فمن المؤكّد أنّ عبد القاهر قد أفاد مما كتبه النّحة منذ سيبويه في تناولهم لخصائص التعبير، وما يصلح به النّظم وما يفسد، ولا شك أن عبد القاهر قد استغل ما كتبه هؤلاء النّحة وأحسن استغلاله...

يشير في وضوح إلى تلك العلاقة بين النظم والنحو بقوله: اعلم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعلّق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلّق اسم باسم، وتعلّق اسم بفعل، وتعلّق حرف بهما".² ويستمر بشرح كل هذا بإسهابٍ حتى يتّضح لنا أن النّظم يشمل جميع أبواب النّحو، ما ذكره منها وما لم يذكره.

أشرنا سابقاً أن عبد القاهر قد أفاد من النّحة السابقين وخاصة سيبويه، وكان أهم باب استشهد به من علم سيبويه- باب التقديم والتأخير- الذي كتبه الشيخ في دلائل الإعجاز، ولم يكتب هذا الباب في تراث العربيّة أحد قبل عبد القاهر على الوجه الذي كتبه عبد القاهر ولا على وجه قريب منه".³ ويبين عبد القاهر الجرجاني أهمية هذا الباب بقوله: "والتقديم والتأخير هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية".⁴

ويبين أن التقديم والتأخير له أثر كبير في جودة الكلام، وما من لفظة تُقدّم أو تُؤخّر إلّا ولها سرّ في الحسن.

وقد تناول عبد القاهر الجرجاني صور التقديم المختلفة مع الاستفهام بالهمزة ثم الاستفهام والنفي ثم تناول سائر صور الكلام المختلفة كما عرض لباب الحذف وبين أهميته بقوله: "هو باب دقيق المسلك

1- أثر النّحة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 385.

2- المرجع نفسه، ص 387.

3- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني -محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 29.

4- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 106.

لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبَيّن.¹

وبالرغم من إفادة الجرجاني من سيبويه إلّا أنّه يعود له الفضل الأكبر في بناء علم المعاني، ذلك أنّه فصلّه، وقرّره بكثرة التكرار والتأكيد، فتجده يؤكّد العلاقة الوطيدة بين النّظم والنّحو، بل يصل إلى أن يقرّر أنّ النّظم هو معاني النّحو حيث يقول: "هذا هو السبيل فلسّست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً أو خطؤه إن كان خطأ إلى النّظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلّا وهو معنى من معاني النّحو".²

ويتّضح لنا أن معاني النّحو عند الجرجاني درجتان، أولاهما تختصّ بالصحة والفساد ولا تتعدّاه وثانيهما تجري في ميدان رحب وهو ميدان الفن والبلاغة، وهذه الدّرجة هي التي تعنيه من معاني النّحو...

لقد ساق لنا عبد القاهر فصولاً جمّة في كتابه الدلائل تعتمد كلها على النّحو، هذه الفصول هي أبحاث بلاغيّة مثل الابتداء بالنكرة، والمعرفة ب (أل)، وفروق الخبر والحال، وغير ذلك، وكلّها حول نظرية النّظم ومعاني النّحو.³

كما نجد أيضاً أنّ كتابه أسرار البلاغة يدور حول نظرية النّظم، غير أنّه في الدلائل أفرغ جلّ اهتمامه على التركيب، وفي الأسرار وجّه جلّ عنايته على البواعث النفسية للمعاني وموقعها في الفؤاد.

وبهذا تكون نظرية النّظم عند الجرجاني قد وصلت إلى النّضج واكتملت في عصره، وما نخلص إليه أنّ النّظم هو معاني النّحو أو مزيج من البلاغة والنّحو.

1- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 145.

2- المصدر نفسه، ص 82.

3- ينظر أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، ص 397.

الفصل الأول

جهود فاضل صالح السَّامرائي في التَّوجيه البلاغي للنَّحو العربي

أولاً: السَّيرة الذَّاتية لفاضل صالح السَّامرائي

ثانياً: الأسس والسَّمات التي ميَّزت كتابات فاضل صالح السَّامرائي

ثالثاً: المصادر التي استند إليها فاضل السَّامرائي في دراسته وأبحاثه

رابعاً: علاقة السَّامرائي بالنَّظم عند الجرجاني

خامساً: جهود فاضل صالح السَّامرائي في التَّوجيه البلاغي للنَّحو العربي

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا تنقضي عجائبه ولا تُدرك بلاغته، ولا يفنى إعجازه، سحر العقول ببيانه، وأعجز الفهوم ببلاغته، وأطرب الأسماع بجزالة ألفاظه، من سار على نهجه اهتدى ومن تدبره وفهمه تنقى وارتقى، وقد أولع العلماء على مر العصور والدهور قديما وحديثا بالبحث فيه ومدارسته وتبيانه.

ومن هؤلاء العلماء، عالم برز في العصر الحالي من المتبحرين في علوم اللغة العربية، أسهم إسهاما بارزا في الكشف عن أسرار البيان القرآني، جمع بين النحو والبلاغة وعُني بالمعنى عناية فائقة لاحظها في جُلِّ مصنفاته، نهل من علوم النحاة والمفسرين والبلاغيين القدامى، واطّلع على ما قدمه المحدثون في تخصّصه، انتهج لنفسه مسلكاً خاصاً، فأخذ يعرض الآراء ثم يُرّجح ما يراه صواباً وقد يعترض عليها ويبيدي رأيه مدعماً له بالحجج والعلل.

اعتمد على القرآن الكريم بعديّه مصدراً أولاً للاحتجاج، فهو كثير الاستشهاد بالشواهد القرآنية في المسألة أو الظاهرة الواحدة، وقد نثر بعد ذلك أبياتاً من الشعر العربي الفصيح.

يُركّز في دراسته على المعنى أو بالأصحّ السرّ البلاغي أو الجمالي للألفاظ أو التراكيب المختلفة. قد لا يمكن تصنيف أعماله أو كتاباته ضمن مجال واحد مثل كتب الإعجاز أو كتب التفسير أو النحو أو البلاغة، فقد ألفتها يمزج بين كلّ هذا، إذ أفاد أيمًا إفادة منها بكثرة اطلاعه، وسعة علمه ومُكنته في علوم اللغة العربية.

وقد خصّصنا هذا الفصل للتعرف على هذا العالم الرباني حيث جاء موسوماً: جهود فاضل صالح السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي.

أولاً: السيرة الذاتية لفاضل صالح السامرائي

هو العالم اللّغوي "الأستاذ الدكتور فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل من عشيرة البدري إحدى عشائر سامراء، ولد بها عام 1933م في عائلة متوسطة الحالّة الاقتصادية، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ومدة وجيزة فكشف ذلك عن حدة ذكائه، أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية في سامراء ثم بدأت رحلته العلمية التي امتازت بالثراء العلمي دراسةً وتدرّيساً وكتابةً وتأليفاً".¹

اشتغل السامرائي مُدرّساً في بلده عام 1953م "وكان أوّل من حاز درجة الماجستير في كلية الآداب وفي السنة نفسها عُيّن مُعيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد، ثم بعد حصوله على

1 الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي – سمات ومركّزات- اليزيد بلعمش، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 21، مارس 2017م، ص 179.

الدكتوراه عاد إلى العراق عام 1968م، وعُيّن في كلية الآداب بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب، وعُيّن عميدا بكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين إلغاء الكليات الأهلية في العراق".¹

عمل مُدرّسا في جامعة الكويت بقسم اللغة العربية عام 1979م ثم رجع إلى بلده "وأصبح خبيرا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام 1983م وعُيّن عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي عام 1996م، وأحيل إلى التقاعد عام 1998م، بعدما قضى ما يقارب من أربعين عاماً أستاذاً للنحو في جامعة بغداد في التدريس ثمّ رحل إلى الخليج ليعمل أستاذاً في جامعة عجمان التي أمضى فيها سنة ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني عام 1999م".²

أ- مكانته العلمية:

يعدّ فاضل صالح السامرائي أحد أعلام اللغة العربية في العالم الإسلامي، "غنيّ عن التعريف، فقد دوت شهرته في الآفاق، وذاع صيته وعُرف عالمًا نحويًا، ملماً بعلوم النحو واللغة والفقه والتعبير القرآني... أديباً، متواضعاً، ذا حكمة وبصيرة، صاحب عقيدة صافية، يؤمن بحركة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان دينا ودولة تراه فتحترمه على بعد، وتزداد احتراماً له كلّما دنوت منه، واطّلت على عقله وإيمانه وروحانيته وشفافيته، مُرهف الإحساس، خفيف الظلّ، لا يذكر أحداً إلا بخير، جالس منذ أن كان يافعا عدداً من العلماء وأهل الذكر في سامراء".³

ب- مؤلفاته:

ألّف فاضل صالح السامرائي العديد من الكتب حيث كان "أول كتاب ألّفه ونشره (نداء الروح) سنة 1958م"⁴، وللدكتور العديد من الكتب "المنشورة وأغلبها متوفرة على الشبكة ويمكن تحميلها إلكترونياً من مواقع التحميل، ومن هذه الكتب ما يأتي:

- معاني النحو.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.
- معاني الأبنية في العربية.

1 الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو، الموقع الإلكتروني لرابطة أدباء الشام (www.odabasham.net)، 2019/04/04.

2 القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في الإسلام دراسة-تراجم-نصوص، بهجت عبد الغفور الحديثي، المكتب الجامعي، الإسكندرية 2003/2002م، ص 300.

3 المصدر نفسه، ص 302.

4 موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ج1، ط1، 1995، ص 157.

- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- الجملة العربية والمعنى.
- تحقيقات نحوية.
- على طريق التفسير البياني.
- قبسات من البيان القرآني.
- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري.
- ابن جني النحوي.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها.
- مراعاة المقام في التعبير القرآني.
- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الشك إلى اليقين.
- لمسات إيمانية.
- الحجج النحوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري.
- النحو العربي - أحكام ومعان.
- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم.
- دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل.
- التعبير القرآني.
- نداء الروح.
- أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية
- من أسرار البيان القرآني.¹

ت- نظمته للشعر:

فاضل السامرائي شاعر له العديد من القصائد، وقد ذكر بهجت عبد الغفور الحديثي في كتابه القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في الإسلام وهو أحد أصدقائه بقوله: "نظم الشعر في سن مبكرة، وله أشعار تعود إلى الخمسينات، ولكنّه لم يحتفظ بشعره ولا يريد أن يُعرف عنه أنّه شاعر، فأقرب

1 كتب فاضل صالح السامرائي، زينب أندي، الموقع الإلكتروني: www.mawdoo3.com، آخر تحديث: 13 نوفمبر 2022.

الناس إليه لا يعرف عنه ذلك، وقد روى لي أنّ لديه أكثر من قصيدة قالها في الخمسينات، ومنها تلك القصيدة التي قالها عندما زار المجاهد المسلم البشير الإبراهيمي سامراء عام 1952م ومطلعها:

صَحَوْتُ وَكَيْفَ لَا أَصْحُو وَصَوْتُ *** عَلَا الْآفَاقُ مِنْ عِنْدِ الْبَشِيرِ

لَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ فَبَايَعُوهُ *** فَأَهْلًا بِالْبَشِيرِ وَبِالتَّذِيرِ¹.

ولعلّ عدم بروز السامرائي في مجال الشعر يعود لتفرّغه للتفسير البياني للقرآن الكريم، "ويبدو أنّه طلق الشعر مبكراً إذ يقول في قصيدة طويلة ألقاها في نادي كلية التربية في الخمسينات ولم يحفظ منها إلّا قولها:

طَلَّقْتُ مِنْ زَمَنِ شِعْرِي وَإِنْشَادِي *** وَلَمْ أُسْطَرِّ قَرِيضاً مُنْذُ آمَادٍ

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ حَانِئَةٍ *** أَلَّا أُرَدِّدَ شِعْراً بَعْدُ فِي النَّادِي².

ث- ثناء العلماء والأدباء عليه:

أثنى عليه العديد من العلماء والأدباء من بينهم الأستاذ محمد أحمد الراشد في كتابه صناعة الحياة بقوله: "وأشهد أنّه من أوائل من نبه إلى هذا أخ مثقف صديق لنا، هو الدكتور مهدي صالح السامرائي الأستاذ المساعد بجامعة بغداد في تدريس الأدب العربي، وكان من أقراننا، فقد فطن إلى مثل هذه المعاني في وقت مبكر يوم كنت غير بريء من البيوسة، وكان يعارضني، ثم أقررت نظراته"³.

كما أثنى عليه الشاعر عبد الله الدليبي في قصيدة يقول فيها:

"أزكى صنوف الشكر والعرفان *** مني لذاك العالم الرباني

من شنفت لمساته أسماعنا *** وقلوبنا طربت لحسن بيان

الفذّ صياد اللآليء فاضل *** ذاك المعطر من شذى القرآن

من صال في ميدان علم دونه *** قمم الجبال تصير كالوديان

من غاص في بحر العلوم بهمة *** وأتى بعقد فائق الإتقان

لله درك يا ابن دجلة يا فتى *** أخذ الكتاب بقوة وتفان

لقد ارتقيت إلى المعالي سلماً *** وحملت نوراً شاع في الأركان

1 القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في الإسلام دراسة- تراجم- نصوص، بهجت عبد الغفور الحديثي، ص 302.

2 المصدر نفسه، ص 303.

3 الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو، الموقع الإلكتروني لرابطة أدباء الشام (www.odabasham.net)، 2019/04/04.

أوكيف لا والذكر منهلك الذي *** منه ارتواء الظامئ العطشان
وبه سموت مكانةً كمنارة *** منها انتشار النور في الأكوان
من ثغرك البسام كم أهديتنا *** دررا تضيء على مدى الأزمان
ولم التعجب والكتاب معيُنكم *** ومُعِينكم هو منزل الفرقان
يا فاضلاً متفضلاً أفضالكم *** عدد الحصى في البيد والشطآن
أنصفت لغة الضاد يا أستاذنا *** ودفعت عنها هجمة الغلمان
من قد سعوا في محوها وأفولها *** ورضوا بديلا رطنة العجمان
فجزاك ربي من نفائس خيره *** من مثله يجزي على الإحسان
وأطال عمرك خادماً لكتابه *** وجزاك أجراً ناء بالميزان
وكساك في الفردوس أبهى حلة *** وعليك جاد بأحسن التيجان".¹

ثانياً: الأسس والسمات التي ميّزت كتابات فاضل صالح السامرائي

1- التركيز على المعنى:

إنّ المطلّع على مؤلّفات فاضل صالح السامرائي يجد أنّها ترتكز على المعنى، ولكن أي معنى؟ المعنى البلاغي البياني، أو كما ذكر الجرجاني معنى المعنى، فهو يغوص في معنى المفردة أو الجملة أو التعبير ويخرج أحسن المعاني وأروعها.

وقد بيّن ذلك في مقدمة كتبه، ففي مقدمة كتابه معاني النحو، يبيّن مدى أهميّة المعنى في علم النحو، وأنّ دراسة هذا العلم لا تقتصر على الإعراب (حركات وأواخر الكلمات) ودراسة العلاقات الظاهرة بين الكلمات حيث يقول: "ربّما لا أكون مغالياً إذا قلت نحن لا نفهم اللّغة كما ينبغي لأنّ أكثر دراستنا تتعلق بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات، أمّا المعنى فهو بعيد عن تناولنا وفهمنا. بل ربّما لا أكون مغالياً إذا قلت أنّنا نجعل أكثر ممّا نعلم فيما نحسب أنّنا نعلم".²

1- الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو.

2- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ج 1، ط 1، 2000م، ص 08.

يذكر السامرائي أن القدامى تطرّقوا إلى بعض المعاني، لكنّها تبقى شذرات، وتبقى الحاجة ملحة وضرورية لفقه النحو: "ومن هنا نحن محتاجون إلى (فقيه) للنحو يصل إلى درجة الضرورة، صحيح أنّ قسماً من المسائل المتعلقة بالمعنى عرض لها علم النحو، وعلم البلاغة لكن لا يزال كثير منها دون نظر... قد تكون هناك شذرات أو عبارات متناثرة وردت عرضاً في كتاب تفسير، أو في بحث إعجاز، أو في كتاب أدب، ولكن أكثر المسائل بقيت بلا جواب".¹

كما بين أن الشعور بجفاف النحو وقسوته ناتج عن تجريد النحو من المعنى، وأنه إذا أردنا تذوق النحو والاعتزاز باللغة العربية ما علينا إلا دراسة النحو على أساس المعنى: "إنّ دراسة النحو على أساس المعنى، علاوة على كونها ضرورة فوق كلّ ضرورة تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة وتكسبه جدّة وطرافة بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة... إنّ الدّارس له على هذا التّهج يشعر بلذّة عظيمة وهو ينظر إلى هذه اللّغة الفنيّة الثريّة الحافلة بالمعاني الدقيقة الجميلة، ثمّ هو بعد ذلك يحرص على هذه اللّغة الدافقة بالحيوية وهو وراء كل ذلك يحاول تطبيق هذه الأوجه في كلامه ويشعر بمتعة في هذا التطبيق".²

وفي مقدمة كتابه معاني الأبنية في العربية يؤكد على أهمية المعنى في البنية العربية، وأنّ اللّغويين القدامى لم يولوه الأهميّة المرجوة من ذلك "وهو موضوع جدير بالبحث وبذل الجهد الضخم... إنّ اللّغويين القدامى ويا للأسف لم يولوه ما يستحقّ من الأهمية فإنّهم نظروا بصورة خاصة في شروط الصّيغ ومقديسها ومسموعها وقعدوا لذلك القواعد، أمّا مسألة المعنى فإنّهم كانوا يمرّون بها عرضاً، ولا أقول إنّهم أغفلوا المعنى البتّة، بل هم ذكروا أحياناً قسماً من معاني الصّيغ... إلّا أنّ البحث لا يزال ناقصاً غير متكامل".³

وفي مقدّمة كتابه الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها يذكر الهدف من تأليفه له ولكتاب الجملة العربيّة والمعنى فيقول: "فهذا أحد كتابين وضعتهما في الجملة العربيّة والكتاب الآخر هو الجملة العربيّة والمعنى، وقد جمعت فيهما شيئاً من أحكام الجملة العربيّة وأحوالها وتأليفها وارتباطها بالمعنى".⁴ ويتّضح لنا ممّا ذكرنا أنّ جلّ مؤلّفات السامرائي ركّزت على المعنى.

1- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ص 08.

2- المصدر نفسه، ص 08.

3- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2007م، ص 05.

4- الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2007 م، ص 07.

2- التركيز على التفسير البياني للقرآن الكريم:

يركّز السامرائي على التفسير البياني للقرآن الكريم وهو كما وضّحه "بحث في أسرار اللغة القرآنية وتنقيب عن الناحية الفنية، واللمسة البيانية التي تحمل معها المعنى الدقيق دون غيرها، المعنى الذي يكون قد وصل إليه التفسير العام، وقد يكون إضافة نوعية يتميز بها التفسير البياني بعد التدبر في دقائق اللغة... وبما أنّ التفسير البياني هو جزء من التفسير العام فقد نبّه السامرائي المفسّر البياني إلى الاطلاع على كلّ ما يحتاجه المفسّر العام (أسباب النزول، القراءات، النظر في السياق، أشهر كتب التفسير...)".¹

يذكر السامرائي في مستهل كتابه على طريق التفسير القرآني ما يحتاج إليه المتصدّي للتفسير البياني بعد أن وضّح مفهومه: "وأما التفسير البياني فهو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصبّ فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بأحوال التعبير".²

وبخصوص ما يحتاج إليه المتصدّي للتفسير البياني يقول: "إنّ الذي يتصدّى للتفسير البياني يحتاج ما يحتاج إليه المتصدّي للتفسير العام إلّا أنّ به حاجة أكثر إلى الأمور الآتية:

1. التبخر في علم اللغة.

2. التبخر في علم التصريف.

3. التبخر في علم النحو.

4. التبخر في علوم البلاغة.

وبعبارة موجزة (التبخر في علوم اللغة العربية)، فلا تغني المعرفة اليسيرة، بل ينبغي للمفسّر البياني أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللغة".³

فهذه مرتكزات ومنطلقات أشار إليها السامرائي يحتاج إليها الدارس أو بالأحرى مفسّر القرآن الكريم التفسير البياني أو البلاغي.

ومن هذه الإشارات يتبيّن لنا أنّ فاضل السامرائي "كان مشدوداً بقوة نحو الغرض المقصدي الذي كان يحركه في دراسته وتفسيره، فقد كان يسعى من دراسته هذه وتحليله البياني إلى تعميق الصلة

1- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، شادلي سميرة، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، مجلّة دراسات معاصرة، دورية دولية نصف سنوية تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، المجلد 02 العدد 03، يناير 2018م، ص 106.

2- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ج1، ط1، 2017م، ص 07.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالكتاب العزيز، وتقوية الإيمان بإعجازه... فقد كان همّه الوحيد هو إثبات الوجه البياني والإعجازي وتعظيم هذا الكتاب في النفوس".¹

3- التركيز على الدراسة اللغوية:

يبرز لنا جلياً من خلال معظم عناوين الكتب التي ألفها السامرائي تركيزه على المستويات اللغوية فنجد أنه قد ألف في بلاغة الكلمة في التعبير القرآني أي المفردة القرآنية، وكذا الجملة العربية والمعنى، كما ألف في التعبير.

فمن المفردة إلى الجملة إلى التعبير، لكنه سخر تمكنه من الدراسات اللغوية في خدمة القرآن الكريم والكشف ببراعة عن بلاغته وإعجازه وسحره البياني.

"وما ساعده على ذلك اعتماده على المنهج اللغوي في التفسير، الذي أسهم في تواصله مع النص القرآني بتأملاته لمستويات اللغة، بدءاً بالكلمة وصولاً إلى التركيب".²

4- التركيز على الأسلوب العلمي الدقيق والمنهج العملي التطبيقي:

انفرد السامرائي بأسلوب خاص سواءً في كتاباته أو حواراته في الكشف عن روائع البيان أو اللمسات البيانية بأسلوب هادئ ودقيق ومقنع، فاهتمّ بالعلم الذي هو قاعدة الدراسة البيانية، ألا وهي العلوم العربية اهتماماً تأصيلياً يسير به نحو الدراسة البيانية، كما انتهج منهجاً عملياً تطبيقياً وإن لم يصرح به لكنه يبدو جلياً من خلال قصر المقدمات التي يقدم بها كتبه، وعدم وجود تمهيد للمباحث التي يتناولها وكثرة المسائل والشواهد القرآنية.³

"حيث تميّزت أغلب مؤلفاته بالطابع التطبيقي في تحليله للنصوص القرآنية، وهذا من خلال كثرة الشواهد، إضافة إلى منهجه التأملي في التحليل، والأدوات الإجرائية التي يوظفها".⁴

5- التركيز على مراعاة السياق:

أولى السامرائي للسياق أهمية كبيرة، وهذا ما نلاحظه في جلّ مصنفاته وكتاباته، فقد اعتمد عليه في وضع لمساته وإضاءاته البيانية، وقد وسّم أحد كتبه (مراعاة المقام في التعبير القرآني).

1 الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي - سمات ومركزات- اليزيد بلعمش، ص 183، 184.

2 بلاغة النظم القرآني عند رؤاد مدرسة التفسير البياني- قراءة في منهج فاضل صالح السامرائي، حمرا العين آمال/ جغدم فاطمة، مجلّة جسور المعرفة، جامعة حسنية بن بوعلي، الشلف، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، (فيفري 2023م)، ص 25.

3 ينظر الدراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي ص 180، 183.

4 بلاغة النظم القرآني عند رؤاد مدرسة التفسير البياني- قراءة في منهج فاضل صالح السامرائي، حمرا العين آمال/ جغدم فاطمة، ص 35.

فهو في تفسيره وتعليله للمسائل البلاغية وتوجيهاته النحوية مثل التقديم والتأخير أو الحذف أو أي مسألة يوضحها من خلال السياق الذي وردت فيه.

ثالثاً: المصادر التي استند إليها فاضل السامرائي في دراسته وأبحاثه

من المعلوم أنّ العلم تراكمي، وأنّ اللاحق يفيد من السابق وهذا أمر مسلّم به، وفاضل السامرائي من العلماء البارزين الذين تميّزوا بكتاباتهم، فقد انفرد بأسلوبه الدقيق كما قلنا سابقاً، ومنهجه التطبيقي العملي وهذا كلّ كان نتيجة لعلمه الواسع وإطلاعه الكثير على علوم من سبقه.

وقد استند في دراسته على مصادر قيّمة أفصح عنها من خلال حديثه في برنامجه لمسات بيانية حيث "تحدّث الدكتور فاضل عن حبّه للنحو واللّغة منذ نعومة أظفاره: وكان معلّميّ يشجّعوني في هذا المجال والله سبحانه يعطي النّاس رغبات وأشياء مختلفة، وأعطاني الرغبة في النّحو الذي سيطر عليّ فبدأت قبل أن أدخل الكليّة بقراءة ودراسة كتب ابن عقيل وقراءات في المغني اللبيب وكتب البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني، وأسرار البلاغة قرأته ثلاث مرّات قبل دخولي للكلية، درست اللّغة العربيّة وتخصّصت في النّحو وكانت رسالة الماجستير بعنوان ابن جني النّحو ورسالة الدكتوراه بعنوان الدراسات النّحوية للزمخشري".¹

ثمّ يواصل الحديث عن المصادر التي ساعدته في الارتقاء والتميّز في التّفسير البياني: "ثمّ تحوّلت إلى اللّمسات البيانية وكنت أحبّ المعنى فيما يعرضه عبد القاهر الجرجاني والآخرين ويستهيوني ابن القيم وكنت أحبّ كتبه كثيراً والجانب اللّغوي واستنباطاته لأتّي أحبّ المعنى كثيراً، فقرأت الكشّاف وقسماً من التفاسير".²

وقد ذكرنا سابقاً أنّه تحدّث عمّا يحتاج إليه المفسّر البياني وهو التبحّر في علوم اللّغة العربيّة، وممّا لا شكّ فيه أنّ ذلك كان خير زاد له وأحسن مصدر، فقد قال في مستهلّ كتابه على طريق التّفسير البياني: "ومن المهمّ ههنا أنّي في أحكامي واستنباطاتي اعتمدت على القواعد المقرّرة والأصول الثابتة في اللّغة ولم أخرج عنها، وقد حاولت أن أنأى عن التعليل الذي لا يقوم على أساس من مُسلّمات اللّغة وأحكامها".³

كما أشار إلى أهميّة علوم القرآن (القراءات، أسباب النزول، والأشباه والنظائر، والوقف والابتداء..) والاطلاع على كتب المفسّرين بخصوص ما يحتاجه المفسّر البياني حيث قال: "أن يكون قد اطلع على جملة

1- الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو

2- المرجع نفسه.

3- على طريق التّفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، ص 05.

صالحة مما كتبه من تقدمه من مشاهير المفسرين ونظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابه، وتناسب الآيات والسور وما إلى ذلك مما كُتب في أسرار التعبير القرآني".¹

ثم نبّه إلى أمر مهمّ هو أساس التفسير البياني ولا شك أنّه كان مصدر إلهام له: "وأساس ذلك كلّه الموهبة، فإنّ الموهبة أساس كلّ علم وفنّ وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفنّ، على ألاّ يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينمّيها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل".²

ولنا أن نرجع إلى فهرس كتبه، ونطلّع على وفرة المصادر التي يستقي منها فاضل السامرائي دراسته وأبحاثه.

رابعاً: علاقة السامرائي بالنّظم عند الجرجاني

إنّ المتأمل في كُتب السامرائي يتبيّن له من خلال تأكّيده على معاني النّحو، وبحثه في كثير من أبواب البلاغة مثل: التّقديم والتّأخير، الحذف والذّكر، والخبر والإنشاء... وهو ما يسمّيه البلاغيون علم المعاني وهو منطلق نظرية النّظم، يتبيّن له مدى تأثير السامرائي بالنّظم عند الجرجاني.

"ونجد في مؤلّفات السامرائي عدّة قضايا يستثمر فيها مباحث نظرية النّظم، وجميعها تصبّ في علم المعاني، وكلّها تنبع من ركيزة نحويّة، فيما يعرف عند النّحويين بـ (معاني النّحو)، ومنه فالمراد بالتركيب النّحوي والعبارة اللّغوية لا يقصد منها معانيها الظاهرة ولا دلالاتها الأولى، ولكن لهذه التراكيب والمباحث في البلاغة شأن، فالمعاني الإضافية التي تدلّ عليها التراكيب هي المرادة، وهي موطن البلاغة، ومحلّ بحث البلاغيين".³

وقد أشرنا سابقاً أنّ السامرائي نفسه ذكر أنّه قرأ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وتأثّر به قبل دخوله للكلية، وهو في تفسيره البياني للقرآن الكريم استثمر هذه المباحث البلاغية النّحوية، كما أكّد أنّ المتصدّي لهذا التفسير عليه أن يتبحّر في علوم اللّغة العربيّة وخاصّة البلاغة والنّحو.

1 - على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، ص 16.

2 - المصدر نفسه، ص 16.

3 - بلاغة النّظم القرآني عند رواد مدرسة التفسير البياني - قراءة في منهج فاضل صالح السامرائي، حمر العين آمال/ جفدم فاطمة، ص 29.

خامساً: جهود فاضل صالح السامرائي في التوجيه البلاغي للنحو العربي

1- بحثه في الكلمة (المفردة القرآنية):

تحدث فاضل صالح السامرائي عن الكلمة وأحوالها وخاصة المفردة القرآنية، وأفرد لها كتاباً عنوانه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وهذا لا يعني أنه لم يتحدث عنها في بقية مؤلفاته، بل بالعكس فهو في جلّ مؤلفاته يعرض للمفردة القرآنية من حيث الأسرار البلاغية إلاّ أنّه في هذا الكتاب أولاها عناية زائدة. نلاحظ أن السامرائي في حديثه عن المفردة القرآنية لا يكتفي بذكر الفروق اللغوية بين الكلمات لكنّه يذكر التشابه والاختلاف ويراعي السياق في دلالاتها "لقد اهتم السامرائي بالكلمة القرآنية اهتماماً يلفت النظر إيماناً منه بدور الكلمة في النظم القرآني وروعة اختيار القرآن لكلماته، فبيّن مقصدية كلّ جزئية من جزئيات هذا النسق المحكم"¹.

وسنعرض لبعض الظواهر التي عرض لها في كتابه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، مثل: الذّكر والحذف، والإبدال، وتعاور المفردات..

1- الذّكر والحذف:

ذكر السامرائي أنّنا نجد في ألفاظ القرآن الكريم حذفاً نحو: {استطاعوا} و{استطاعوا}، {تنزّل} و{تنزّل}، {تتوقّاهم} و{توقّاهم}، {لم يكن} و{لم يك}، ويعلّل الغرض من ذلك بقوله:

"إنّ القرآن يحذف في الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلاّ لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال: إنّّه يحذف من الفعل للدلالة على أنّ الحذف أقلّ ممّا لم يحذف منه، وأنّ زمنه أقصر، ونحو ذلك فهو يقطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل"².

يبيّن السامرائي أنّ الغرض من الحذف في الفعل هو اقتطاع الحدث، فإذا حذف للحرف دلّ على الإيجاز والاختصار، وإذا أبقى عليه فالمقام مقام تفصيل. "فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل وإذا كان في مقام التفصيل لم يقطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة"³.

ثمّ يورد الشواهد القرآنية، لأنّه يتحدّث عن المفردة القرآنية، فمثلاً {استطاعوا، استطاعوا}.

1 نفي الترادف في التفسير البياني عن فاضل صالح السامرائي، شادلي سميرة، مجلّة حوليات كليات الآداب واللّغات لجامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، العدد 15، ص 71.

2 بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط 5، 2008م، ص 11.

3 المصدر نفسه، ص 11.

يقول: "ونحو قوله ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ {الكهف: 97}؛ وذلك في السدّ الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب، وقد ذكرنا أنّ الصعود على هذا السدّ أيسر من إحداث ثقب فيه لمروور الجيش، فحذف من الحدث الخفيف فقال ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ بخلاف الفعل الشاقّ الطويل فإنّه لم يُحذف بل أعطاه أطول صيغة له فقال ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

فخفّف بالحذف من الفعل الخفيف بخلاف الفعل الشاقّ الطويل. ثمّ لما كان الصعود على السدّ يتطلّب زمناً أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلّبه كلّ حدث".¹

وفي قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ {القدر: 04}، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ {الشعراء: 221-223}.

يذكر السامرائي مبنيّاً سرّاً لاختلاف بين {تنزل} و{تنزل} فقال في هذه الآيات {تنزل} في حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ {فصلت: 30}. فقال في آيتي القدر والشعراء {تنزل} بحذف إحدى التاءين وقال في {فصلت}: {تنزل} من دون حذف، وذلك والله أعلم أنّ التنزل في آية فصلت أكثر ممّا في الآيتين الأخريين ذلك أن المقصود بها: أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشّرهم بالجنة، وهذا يحدث على مدار السنة في كلّ لحظة فأعطى الفعل كلّ صيغته ولم يحذف منه شيئاً".²

ويقارن بين هذا التنزل وبين التنزل في آية الشعراء وآية القدر الذي هو أقلّ فيقول:

"وأما آية الشعراء فإنّ التنزل فيها أقلّ، لأنّ الشياطين لا تنزل على كلّ الكفرة، وإنّما تنزل على الكهنة، أو على قسم منهم، وهم الموصوفون بقوله: ﴿كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾، ولا شكّ أنّ هؤلاء ليسوا كثيراً في الناس، وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم بل هم قلة فاقطع من الحدث، فقال: {تنزل} بحذف إحدى التاءين".³

1 بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 12.

2 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 المصدر نفسه، ص 13.

وفي آية القدر هي الأخرى التنزل أقل: "وكذلك في آية سورة القدر، فإن تنزل الملائكة، إنما هو في ليلة واحدة في العام، وهي ليلة القدر فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت فاقتطع من الحدث".¹

وهكذا استمر السامرائي في إيراد الشواهد القرآنية التي وردت فيها ظاهرة {الذكر والحذف} في مثل {توفاهم وتوفاهم}، و{تفرقوا وتفرقوا} و{تولوا وتولوا} و{تسطع وتسطع}.

2- ظاهرة الإبدال:

بعد أن أسهب السامرائي في شرح ظاهرة الذكر والحذف وأصبحت واضحة لدى القارئ بكثرة الشواهد القرآنية التي يشهد بها ينتقل إلى الحديث عن ظاهرة الإبدال.

ويمهد لها بتوضيح بسيط كأنه يعرفها فيقول: "وقد يستعمل القرآن المفردة أحيانا مُبدلة وذلك نحو {يَتَذَكَّرُ} و{يَذَكَّرُ} و{يَتَذَكَّرُ} و{يَذَكَّرُ} ونحو مَكَّة وْبَكَّة، وْبِسْطَة وْبِسْطَة، فهل لهذا الإبدال غرض؟".² وبهذا التساؤل الذي يطرحه ينتظر القارئ بكل شغف معرفة هذا الغرض الذي أدى إلى ظاهرة الإبدال.

ويأتي الجواب بأسلوب بسيط أخاذ لكنه مقنع وذلك باستعمال أدوات التوكيد فيقول: "إننا نرى أن كل تغيير في التعبير القرآني مهما كان قلّة سببه، ولا يكون تغيير من دون سبب... قد ترد الكلمة في التعبير القرآني مُبدلة مُدغمة مرة، ومرة أخرى ترد غير مُبدلة، وذلك نحو قوله تعالى في آيات عدة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وفي آيات أخرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ونحو قوله ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ وقوله ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ ونحو قوله ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ وقوله ﴿يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ بل ربما جمع الصيغتين في آية واحدة أو آيات متقاربة، وذلك نحو قوله تعالى ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ {التوبة: 108}."³

وبعد أن أورد السامرائي الأمثلة يشرع في شرح الظاهرة شرحاً بيّناً ليصل إلى إبراز وإيضاح الفرق بين الكلمة المُبدلة وغير المُبدلة مُشيراً إلى أن المفسرين اكتفوا بالإشارة ولم يبرزوا الفرق بينهما، ويؤكد أن هذا التغيير بين الكلمات في الاستعمال لا بد له من تغيير واختلاف في الدلالة والمعنى، "إن أصل هذا الإبدال هو الفك بالتاء و {اذَّبر} أصله {تَذَبَّر} فأبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال فسكنت الدال الأولى وجيء بهمزة الوصل توصلًا إلى النطق بالساكن، وكذلك {اذَّكر} أصله {تَذَكَّر} و {اطَّهر} أصله {تَطَهَّر}، والمضارع كالماضي

1- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 13.

2- المصدر نفسه، ص 40.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ف {يَدَبَّرُ} أصله {يَتَدَبَّرُ}، و {يَدَّكِّرُ} أصله {يَتَدَكَّرُ} و {يَطَهِّرُ} أصله {يَتَطَهَّرُ} وهكذا وهو من الإبدال الجائز لا الواجب، ولذا نرى الاستعمالين معاً في اللغة، وفي القرآن الكريم¹.

يؤكد بعد ذلك وجود فرق بين اللفظتين، معللاً ذلك بأن القرآن دقيق غاية الدقة في الاستعمال ولا يستعمل لفظتين بمعنى واحد تماماً، "وإن كانا مترادفتين أو مُبدلتين وحتى إذا كانا من لغتين، فهو يخصّ كلا منهما بمعنى"².

ثم يتطرق السامرائي إلى البناء الصرفي للفظتين ليذكر حقيقتين لغويتين لهما شأنهما في تغيير المعنى بينهما. الأولى وهي أن بناء اللفظة الأولى {يَتَفَعَّلُ} أطول من بناء اللفظة الثانية {يَفْعَلُ} في النطق، أطول منه بمقطع واحد، "ف {يَتَدَكَّرُ} متكوّن من خمسة مقاطع: {ي+ت+ذ+ك+ر} في حين أن {يَدَّكِّرُ} متكوّن من أربعة مقاطع {يَد+ذ+ك+ر} والحقيقة الثانية أن بناء {يَفْعَلُ} فيه تضعيف زائد على {يَتَفَعَّلُ} ففي {يَفْعَلُ} تضعيفان وفي {يَتَفَعَّلُ} تضعيف واحد فما كان على وزن {يَتَفَعَّلُ} قد يؤتى به في اللغة للدلالة على التدرج، أي الحدوث شيئاً فشيئاً، وذلك نحو تَخَطَّى وتمشَّى وتبصَّر وتَجَسَّس، فهناك فرق بين {مَشَى} و {تَمَشَّى}، و {خَطَى} و {تَخَطَّى}، و {جَسَّ} و {تَجَسَّس} ففي تَمَشَّى وتَخَطَّى من التدرج ما ليس في مشى وخطا"³.

ويواصل توضيح دلالة الوزن أو البناء الصرفي، حيث يدلّ وزن {تَفَعَّلَ} أيضاً على التكلف وبذل الجهد مثل تَصَبَّرَ وتَحَلَّمَ، ففيهما حمل النفس على الصبر والحلم وتكلفها بذلك، وكلّ ذلك يدلّ على طول في الوقت وتمهل في الحدث، وهاتان الصيغتان إذا ذكرتا في القرآن دلت {يَتَفَعَّلُ} لما هو أطول زمناً من {يَفْعَلُ}، وبالتالي يتحقّق التناسب بين البناء والمعنى⁴.

وبخصوص وزن {يَفْعَلُ} الذي يحوي تضعيفين، فيذكر أنّه يأتي في القرآن فيما لا يحتاج إلى المبالغة في الحدث ويذكر بصيغ مختلفة وردت في القرآن تدلّ كلّها على المبالغة، "ك {قَطَعَ} و {قَطَعَهُ}، وكَسَرَ وكَسَّرَ ففي قَطَعَ وكَسَّرَ من المبالغة ما ليس في قَطَعَ وكَسَرَ، ونحو فَعَّالَ وفَعَّال، مثل كُبَّار وكُبَّار.

1 - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 40.

2- المصدر نفسه، ص 41.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر المصدر نفسه، ص 42.

ف {كُبَار} أبلغ من {كُبَار} في الاتصاف بالحدث كما هو مقرر في كتب اللغة، فتكرار الحرف إشارة إلى تكرار الحدث".¹

وهكذا بعد كل هذا البيان والتفصيل والتعليل يثبت السامرائي أن صيغة {يَفْعَلُ} لما هو أطول زمناً أي تستعمل في مقام الإطالة والتفصيل، وصيغة {يَفْعَلُ} تستعمل للمبالغة في الحدث والإكثار منه. ونجده بعد ذلك يكثر من الشواهد القرآنية التي وردت فيها ظاهرة الإبدال شارحاً ومفسراً لها وموضحاً الفرق بين اللفظتين المبدلة وغير المبدلة.

ومن هذه الشواهد "على سبيل المثال قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ {الأنعام: 42} وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ {الأعراف: 94}، فقال في آية الأنعام {يَتَضَرَّعُونَ} وقال في الأعراف {يَضُرَّعُونَ} بالإبدال والإدغام وذلك أنه قال في آية الأنعام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وقال في الأعراف ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدى التاريخ، فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناءً، فقال {يَتَضَرَّعُونَ}، ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال {يَضُرَّعُونَ} فجاء بما هو أقصر في البناء".²

ثم يبين ناحية أخرى خاصة بأسلوب الكلام أو التركيب فيقول: "ومن ناحية أخرى، أنه استعمل في آية الأنعام {أَرْسَلْ إِلَى} فقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ﴾، واستعمل في الأعراف {أَرْسَلْ فِي} فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾، والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، فإنك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلغها ويعود، أما الإرسال في القرية أو في المدينة، فإنه يقتضي التبليغ والمكث، فإن {في} تغير الظرفية وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلّغهم ويذكرهم بالله ويُرهم آياته المؤيدة، ولا شك أن هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه، فجاء بالصيغ الدالة على المبالغة في الحدث والإكثار منه فقال {لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ} فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها".³

3- ظاهرة الوصف:

يتطرق السامرائي إلى ظاهرة أخرى وهي الوصف، حيث يشرح هذه الظاهرة من خلال الشواهد القرآنية وإبراز الفروق البلاغية والبيانية بين الألفاظ المتشابهة، وبالمثال يتضح المقال:

1 - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 42.

2 - المصدر نفسه ص 43.

3 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يقول السامرائي: "قال تعالى ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ {الأنعام: 99}، وقال ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ {الأنعام: 141}، فقد قال في الآية الأولى ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ وقال في الآية الثانية ﴿مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ فما سرُّ ذلك؟ ولم قال في الوضعيتين {غير مُتَشَبِهٍ} ففضى التشابه دون الاشتباه".¹

بهذا التساؤل يجعل السامرائي القارئ أكثر انتباها وتديرا للآيات بل للمفردات القرآنية التي لا يلقي لها بالا، ويجعله متشوقا لمعرفة السر في هذا الاختلاف، فيأتي الجواب من خلال التعليل والتفسير الوافي الشافي المقنع، فيبدأ أولا بما ذكره المفسرون ثم يبين تفسيره الخاص به.

يذكر أولا أنَّ المفسرين جعلوا اشتبه وتشابه بمعنى واحد، مثل اختصم وتخاصم واشترك وتشارك واستوى وتساوى (الاشتغال في باب الافتعال والتفاعل).²

ثم يبدي رأيه "والذي يبدو لنا أنهما ليسا بمعنى واحد، وأنَّ كلَّ لفظة اختصت بالموطن المناسب لها".³

ولتعليل رأيه يأتي بالآيات في سياقها ويخلص إلى أنَّ سياق الآيات الأولى في بيان قدرة الله وآياته الباهرة في خلقه وسياق الآية الأخرى في بيان الأطعمة وما يُحِلُّه ويُحَرِّمُه أهل الكفر وبينا لافتراءهم على الله بعقيدتهم الباطلة يقول: "واليك كلاً من الآيتين: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأنعام: 99}، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ {الأنعام: 141}... فأتضح الفرق بين السياقين، وقد اتسمت الآيتان كليهما بسميات السياق الذي وردت فيه كلَّ آية منها، فالآية الأولى في بيان قدرة الله وآياته والأخرى في بيان ما يؤكل من الفواكه والزرع".⁴

ولا يكتفي السامرائي في تعليله بذكر السياق وإنما يوضح بيان كلَّ آية وكيف اختلفت عن الأخرى ما الذي ذُكر في الأولى ولم يذكر في الثانية، ففي الآية الأولى بدأ بمرحلة ما قبل الإنبات وهو إنزال الماء من

1 بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 87.

2 ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4 المصدر نفسه، ص 88.

السَّمَاء، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ خَضْرَاءُ إِشَارَةً إِلَى عَمَلِيَةِ النَّمُو وَالْإِنْبَاتِ، ثُمَّ يَخْرُجُهُ حَبًّا مَتْرَاكِبًا، ثُمَّ يَدْعُو إِلَى النَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، والجدير بالذكر أنه يقارن بين الأولى والثانية في كلِّ المراحل المذكورة-مرحلة مقابل مرحلة.¹

ويواصل السامرائي في تعليقه، فبعد أن ذكر السياق ومناسبة الآيات ينتقل إلى الفعل {اشْتَبَهَ} و{تَشَابَهَ} حيث بيّن معناها الذي ورد في المعاجم وماذا تفيد كلٌّ مفردة، ويخلص إلى أن {اشْتَبَهَ} تفيد الالتباس والإشكال و {تَشَابَهَ} تُفيد المشاركة (سواء أدّى إلى الالتباس أم لم يؤدّ).

4- تعاور المفردات:

يبدأ السامرائي أولاً شرح هذا المصطلح بقوله: "قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني، فتستعمل مفردة في موطن، وتستعمل غيرها في موطن آخر شبّه به، بل في القصّة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أنّ القصّة واحدة والموقف واحد، وذلك نحو قوله تعالى ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ {البقرة: 60}، وقوله في سورة الأعراف ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ {الأعراف: 160}، والانفجار بالماء أغزر من الانبجاس فخالف بين المفردتين مع أنّ القصّة واحدة والموضع واحد".²

وبعد أن وضّح للقارئ مفهوم التعاور، يورد شواهد أخرى ورد فيها ذلك، ثم يُبيّن السّرّي هذا الاختلاف.

هل هناك تناقض واختلاف؟ يقول: "إنّ الذي نريد أن نوضحه هنا أن ذلك ليس تناقضاً ولا اختلافاً، بل إنّ ما ذكره في الموضعين حتى لو اختلف معنى المفردتين، ذلك أنّ المذكور قد يكون عامّاً في موطن وخاصّاً في موطن آخر، وقد تكون له حالتان فيذكر حالة في موطن ويذكر حالة أخرى وقد يكون الأمر عامّاً فيذكر جزءاً منه في موطن ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر، وهكذا. وكلّ ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام، كما تبين ذلك".³

وبعد أن وضّح السامرائي وبين عدم التناقض، يورد أكبر عدد من الشّواهد القرآنية لتوضيح هذه الظاهرة-ظاهرة تعاور المفردات- ومن الشّواهد على "سبيل المثال قوله تعالى في سورة البقرة ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ وقوله في الأعراف ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، فقد تقول: إذا كان الانفجار

1 بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 89، 90.

2 المصدر نفسه، ص 122.

3 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أكثر وأغزر من الانبجاس، فلم قال مرة {انفجرت} وقال مرة أخرى {انبجست}، وما حقيقة الأمر أهي انفجرت العيون بالماء أم انبجست؟.

والجواب: أن كلا الأمرين حصل، فقد انفجرت أولاً بالماء الكثير كما قيل، ثم قلَّ بمعاصيهم، فأخذ ينبجس، فذكر حالة الانفجار في موطن وحالة الانبجاس في موطن آخر، فالأمران واقعان وكلاهما حقيقة غير أن ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق، ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام¹.

2- معاني الأبنية في العربية:

وفي حديثه عن الكلمة، نجد أن السامرائي ذكرها في معظم كتبه لكنه كما ذكرنا ألف كتاباً وسَمَّهُ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وكذلك عني بها في كتابه معاني الأبنية في العربية، فمن المعلوم أن البناء أو الوزن أو الصيغة تعني بها الكلمة أو المفردة.

يؤكد السامرائي أن أي اختلاف في المبنى يلحقه اختلاف في المعنى "ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ أن كل عدول من صيغة إلى أخرى لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى آخر إلا إذا كان لغة"².

والسامرائي يبحث في معاني وأسرار الكلمة يركّز بدءاً على المفردة القرآنية في الاستعمال القرآني. "وقد حاولت الوصول إلى المعنى على طريق النظر والموازنة بين التصوص في استعمال الصيغ، وهذا النظر قائم على الاستعمال القرآني أولاً علماً بأنّي أعلم أن القرآن الكريم قد استعمل بعضاً من الأبنية لمعان خصّها بها هو، وقائم أيضاً على دراسة الضوابط العامة والأصول التي وضعها علماء اللغة على المعاني التي يفسّرون بها المفردات أو الأبنية"³.

وقد أورد السامرائي أبنية كثيرة وأظهر معانيها، وسنقف عند أبنية المبالغة: يقول: "من المعلوم أن في العربية أوزاناً عديدة للمبالغة كفَعَّال نحو: تَوَّاب، ومِفْعَال نحو مِئْخَر وفَعُول نحو غُفُور، وفَعِلَ نحو حَذِر، وفَاعُول نحو: فاروق وغيرها، فهل تؤدي هذه الأبنية المختلفة معنى واحداً في المبالغة؟ هل معنى غَفَّار وغُفُور وصَبَّار وصبور وكَفَّار وكفور واحد... وهل معنى هَمَّاز وهُمَزَة وهُمُوز، وضَحَّاك وضحوك وضُحَكَة، ومِئْخَر ونَحَّار واحد؟"⁴.

1 بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 123.

2 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2007م، ص 06.

3 المصدر نفسه، ص 07.

4 المصدر نفسه، ص 92.

ويتساءل عن ورود هذه الصيغ في القرآن بصيغ مختلفة مستشهدا بالآيات القرآنية "لماذا إذن اختلفت الصيغ ولماذا جاء القرآن بصيغ مختلفة، فاستعمل غفارا وغفورا وكفورا وهمازاً وهَمْزة؟ قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ {طه: 82}، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ {نوح: 10}، وقال: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {البقرة: 218}، وقال: ﴿هَمَّازٌ مَّشَاءً بَنِيمٍ﴾ {القلم: 11}، وقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ {الهمزة: 01}."¹

يعرض السامرائي أقوال النحاة واللغويين في معاني أبنية المبالغة ومن أشهر هذه الأبنية فَعَّال. "فنرى أنَّ فَعَّالاً في المبالغة هو منقول عن فَعَّال في الصيغة لأننا نرى أنَّ الأصل في المبالغة هو النقل منشيء إلى آخر فتحصل عن ذلك المبالغة ...

جاء في تفسير الرازي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ {نوح: 10}، فكأنَّ هذا هو حرفته وصناعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ {إبراهيم: 34}، أي أنَّه مستمر على ذلك يزاوله ويُعابنه ويجدِّده... وعلى هذا فصيغة {فَعَّال} تدلُّ على الحرفة والصناعة وتقضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجدد، والمعاناة والملازمة."²

وفي الفرق بين كَفَّار وكَفُور اللذين هما من صيغ المبالغة أنَّ: "{كَفَّار} على وزن {فَعَّال} الذي يكون لمن يفعل الفعل وقتاً بعد وقت ويكرِّره، وقيل وأنَّ {كَفُور} على وزن {فَعُول} الذي يكون لمن دام منه الفعل... وعلى هذا فالكَفَّار هو الذي يزاول الكفر ويجدِّده وقتاً بعد وقت، وأمَّا الكفور فهو الذي دام منه الكفر بحيث أصبح كأنه مخلوق من الكفر... قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كَفُورٌ﴾ {هود: 09} وقوله ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ {الشورى: 48}"³، كما ذكر السامرائي أنَّ صيغة {فَعَّال} لما تفيد من معاني الاستمرار والتجدد فهي "كثيراً ما تتعدى إلى غيرها باللام أو بغيرها بخلاف {فَعُول} فإنَّها تتعدى بما أقلَّ وذلك نحو قوله ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْلُونَ لِّلْسُخْتِ﴾ {المائدة: 42}، ﴿مَشَاءً بَنِيمٍ﴾ {القلم: 11}، ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ {القلم: 12}، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ {يوسف: 53}، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ {البروج: 16}، ﴿قَوْمِينَ بِالْأَقْصَٰطِ﴾ {النساء: 135}، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ {المعارج: 16}"⁴، "فقوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُتَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ {المعارج: 16/15}، جاء بها على وزن فَعَّال ولم يقل {نَزَّوعاً} لأنَّها والله أعلم تفيد الاستمرار والتجدد والتكرار وهو موافق لقوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ {النساء: 56}"⁵.

1 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص 92.

2 المصدر نفسه، ص ص 95، 96.

3 من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص ص 37، 38.

4 المصدر نفسه، ص 39.

5 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، المصدر السابق، ص 96.

وتطرق السامرائي إلى أوزان الجموع، حيث ذكر أنّ الجموع نوعان جمع مذكّر سالم وجمع تكسير ولهذا الأخير صيغ كثيرة. "وجمع التّكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً، وقد يكون للاسم الواحد عدّة جموع نحو: كافر وكفّار وكفّرة وكافرين، وساجد وسجّد وسجود وساجدين، وراكب ورُكّاب ورُكبانفما تفسير هذه الظاهرة؟ وهل تختلف الجموع باختلاف الأوزان؟"¹

وكعادته يبحث عن معاني هذه الأبنية أو دلالاتها في الاستعمال القرآني، وعن علّة هذا الاختلاف بعد أن يبيّن تفسير النّحاة لهذا الاختلاف.

ذكر السامرائي أنّ أهم أسباب اختلاف أوزان الجموع هي:

اختلاف لغات العرب كجمعهم قوس على الأقوس والأقواس، ومكان على الأمكن والأمكنة، وفسل على الفسال والفسول، وذكر أنّ القرآن الكريم خصّ قسماً من الجموع في الاستعمال مثلاً استعمال الحمير حيث وردت بالحمير الأهلية، قال تعالى: ﴿وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوها﴾ {النحل: 08}، وقال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ {القمان: 19}، وخصّ الحمير الوحشية فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ {المدثر: 51/50}، وجمع ميت على الأموات والموتى والميتين فاستعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة.

وقد وردت {الموتى} سبع عشرة مرّة في القرآن الكريم بهذا المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ {البقرة: 260}، واستعمل الأموات لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم، أي للموت المعنوي قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ {البقرة: 28}، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ أَمْوَتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ {النحل: 21/20} واستعمل الميتين لمن لم يموت، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ {المؤمنون: 15}، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ {الزمر: 30}، وقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۖ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ {الصافات: 59/58}، وغير ذلك.²

وهناك أسباب أخرى ذكرها السامرائي إضافة لتعدد اللغات وهي:

اضطرار العربي في الشعر أو السجع إلى استعمال أكثر من جمع لمعنى واحد، وكذلك اختلاف المعنى حيث يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى فتختلف جموعها، مثلاً: الكفّار والكفّرة، فإنّ الكفّار في جمع كافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً، والكفّرة في جمع كافر النعمة أكثر استعمالاً، وكالعباد والعبيد فأكثرها يقال عباد الله وعبيد الناس.

1 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص 113.

2 ينظر المصدر نفسه، ص 115.

ومن الأسباب القلة والكثرة، وأمثلة القلة: {أَفْعُلْ} كأشهر و{أَفْعَال} كأشياخ و{أَفْعَلَة} كأغربة و{فِعْلَة} كفتية، كما أن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة مثل السنبلات والحففات والزبدان، فالسالم يفيد القلة والتكسير يفيد الكثرة، والمراد بالقلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة فإن زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة، فيقال مثلا أربعة أحرف أو عشرة أحرف فإن زادت على العشرة قيل حروف، ويقال خمسة فتية فإن زاد على العشرة قيل: فتيان، قال الله تعالى ﴿بِثَلْثَةِ ءَآلِفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ﴾ {آل عمران: 124} وقال ﴿بِخَمْسَةِ ءَآلِفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ﴾ {آل عمران: 125}، فاستعمل الآلاف للقلة، وقال ﴿خَرَجُوا مِن دِيَرِهِمْ وَهُمْ أَئُولُ﴾ {البقرة: 243}، فدّل قوله {أُولُ} على أنهم زادوا على عشرة آلاف فاستعمل الأفعال للقلة والفُعُول للكثرة، وقال ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ {لقمان: 27}، فاستعمل {الأفْعُل} للقلة لأنها سبعة وقال ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ {الانفطار: 03}، وقال ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ {التكوير: 06}، فاستعمل البحار للدلالة على الكثرة لأنها جميعها تتفجر وتُسَجَر يوم القيامة".¹

ثم يذكر السامرائي أنه قد يستعمل وزن الكثرة للدلالة على القلة والعكس في جمع التكسير: "وقد يعدل من ذلك لضرب من البلاغة فقد تعطى القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض ما أوقد يخص كل من الوزن بمعنى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ {البقرة: 261} وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ {يوسف: 43}، فأنت ترى العدد واحد وهو {سبع} ولكنه استعمل صيغة جمع الكثرة مرة والقلة مرة أخرى، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سيقّت في مقام التّكثير والمضاعفة فجاء بها على {سنابل}، لبيان التّكثير، وأما قوله: ﴿سَبْعٌ سُنبُلَاتٍ﴾ فجاء بها على لفظ القلة لأنّ السّبعة قليلة ولا مقتضى للتّكثير".²

وأورد السامرائي مثالا أو شاهدا آخر من الشواهد القرآنية لبيان السرّ البلاغي لعدول الجمع عن أصله: "ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ {البقرة: 58}، وفي الأعراف: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ {الأعراف: 161}، فجاء بالأولى على الكثرة وبالثانية على القلة... ولو لاحظت الفرق بين القصتين لرأيت أنّ الكثرة أليق في مكانها والقلة أليق في مكانها، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الأعراف قال ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ آسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

1 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص 119.

2 المصدر نفسه، ص 121.

تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾، فأنت ترى أنّ مقام التَّفَضُّلِ في {البقرة} أوضح فقد بدأ بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ فنسب القول إلى نفسه تعالى، وفي الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ فبناه للمجهول، وقال في البقرة ﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ فعقب الأكل على مجرد الدّخول أي جعل الأكل في عَقِبِ الدّخول وقال في الأعراف ﴿آسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا﴾ جعل الأكل مع السّكن مقترناً به، أي أنّ الأكل لا يحصل إلّا مع السّكن لا بمجرد الدّخول، فاستعمل الدّخول والفاء الدّاخلية على التّعقيب في {البقرة} واستعمل السّكن والواو في {الأعراف}، وقال {رغدا} في البقرة، وأسقطها في {الأعراف}.¹

يواصل السامرائي شرحه وتعليقه لأسرار البيان القرآني، كلّ هذا ليصل إلى ما ذكره من عدول الجمع عن أصله لسر بلاغي، "وقدّم السّجود على القول في {البقرة} والسّجود أفضل لأنّه أقرب ما يكون من ربّه وهو ساجد، وآخر السّجود عن القول في {الأعراف} وقال في {البقرة} ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ للدّلالة على الكثرة وقال في {الأعراف}: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ فأتى بجمع القلّة، وقال في {البقرة} ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بزيادة الواو للاهتمام والتنويع والتأكيد، وحذف الواو في {الأعراف}. فأنت ترى أنّ مقام التّفضّل في {البقرة} أكبر وأتمّ ولذلك كان أولى باستعمال الكثرة".²

ثم يذكر السامرائي أنّ أوزان القلّة والكثرة قد تستعمل للمغايرة بين معنيين وضعا أو تخصيصا، لا للدّلالة على القلّة والكثرة نحو: الأخوال والخيّلات جمع الخال، والأربعة والأربعاء جمع الرّبيع، والأنفس والنّفوس، فإنّ العرب قد خصّوا التّوكيد المعنوي بلفظ الأنفس والأعين ولم يستعملوا النّفوس ولا العيون فنقول (جاء الزيدون أنفسهم) لا نفوسهم وإن زادوا على العشرة، كالأعين والعيون جمع العين فقد خصّ الله تعالى {الأعين} بالباصرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ {الأعراف: 179}، وخصّ العيون بعيون الماء، منها قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ {الحجر: 45}، وقوله: ﴿فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ {المُرْسَلَات: 41}.³

ونختم بما ذكره بهذا الخصوص "ما خصّه باستعمال {القاعدِين} و{القُعُود} جمع قاعد، فقد خصّ القرآن الكريم لفظ {القُعُود} بالقعود الحقيقي و{القاعدِين} بمعنى القُعُود عن الجهاد، وقد وردت {القُعُود} ثلاث مرّات في القرآن كلّها بمعنى القُعُود الحقيقي وهي قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ إِذْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ {البُرُوج: 05-06}... ووردت {قاعدون} في ستّة مواطن كلّها بمعنى القُعُود عن الجهاد، وهي قوله

1 معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص ص 121، 122.

2 المصدر نفسه، ص 122.

3 ينظر المصدر نفسه، ص ص 22، 123.

تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ {المائدة: 24}، ومن ذلك ما خصّه باستعمال القيام والقائمين فقد خصّ {القيام} بالقيام الحقيقي و {القائمين} بمعنى القيام بالأمر والاعتكاف.¹

والحديث عن معاني الأبنية يطول، وهو حديث مشوّق لمن يتذوّق اللّغة العربيّة ويبحث في أسرارها.

جهود فاضل صالح السامرائي في الجملة العربية:

بعد أن عرضنا بعضاً من أحوال وأسرار الكلمة عند فاضل صالح السامرائي في كتابيه بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ومعاني الأبنية في العربية ننتقل إلى حديثه عن الجملة العربية إذ نجده منثوراً في كتبه إلاّ أنّه خصّص لها كتابين مهمّين وسَمّ الأول الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ووسَم الثاني الجملة العربية والمعنى.

استهل كتابه الجملة العربية تأليفها وأقسامها كدأب النّحاة بتعريف أقسام الكلام {الكلمة والكلام والكلم}، وعرف الكلمة وذكر أنّ قسماً من النّحاة يعدّون الكلام والجملة مصطلحين لشيء واحد، فالكلام هو الجملة والجملة هي الكلام ومنهم ابن جني حيث ذكر في الخصائص: "أمّا الكلام فكلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسمّيه النّحويّون الجمل نحو: زيدٌ أخوك، وقام سعيد".²

وذكر أنّ جمهور النّحاة يميّزون بين الكلام والجملة، لأنّ شرط الكلام الإفادة والجملة لا يشترط فيها الإفادة، وإنّما يشترط فيها الإسناد. جاء في التعريفات: في تعريف الجملة: أنّها عبارة عن مُركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك {زيدٌ قائم} أو لم يُفد كقولك {إن يكرمني} فإنّ جملة لا تفيد إلاّ بعد مجيء جوابه فتكون أعمّ من الكلام مطلقاً.³

وقد جاء كتاب الجملة العربية تأليفها وأقسامها في فصلين بعد المقدّمة، "وسمّ الأول بتأليف الجملة، وطرح موضوعات تتّصل كلّها بجانب تأليف الجملة... وتحدّث هذا الفصل عن الإسناد والفصل بين أجزاء الجملة كما التفت إلى بعض الظواهر كالّتقديم والتأخير والحذف وغيرها، أمّا الفصل الثاني فوقع تحت عنوان أقسام الجملة، وقد فصلّ المؤلّف فيه القول عن الجملة وأقسامها كالّجمل التي تتبوأ محلاً من الإعراب والأخرى التي لا تتبوأ موقعا إعرابيا وأسلوب الشرط والخبر والإنشاء وغيرها كثير".⁴

1- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، ص 123، 124.

2- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، حقّقه محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت، ج 01، ط 03، 1983م، ص 17.

3- ينظر الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص 11، 12.

4- فاضل السامرائي وآراؤه النّحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، رسالة ماجستير في اللّغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين، 2007م ص 121.

وسنقصر الحديث في موضوعات هذا الكتاب عن ظاهرة مهمّة حيث "تتفرّد اللغة العربية بمجموعة من الظواهر التي تميزها عن باقي اللغات شتى، إذ يمكن القول إنّ هذه الظواهر باتت دليلاً مانعاً لدحض مقولات من وصف العربية بالجمود، وعليه فإنّ العربية لغة مرنة قابلة للتعاقب التراكيب بأساليب فذة، كأسلوب التقديم والتأخير حيث يقصدها المتكلم ليؤدّي بها معنى خفياً في ذهنه".¹

وقد شغلت هذه الظاهرة القدامى والمحدثين نظراً لأهميتها ودورها في جلاء المعنى.

والذي يبدو جلياً من خلال دراستنا لجهود فاضل صالح السامرائي أنّه قد أولى هذه الظاهرة عناية فائقة حيث ذكرها في معظم مصنفاته، فنجدّه تحدّث عنها في كتاب الجملة العربية تأليفها وأقسامها والجملة العربية والمعنى وفي كتابه التعبير القرآني وغيرها.

ذكر السامرائي أنّ الغرض من التقديم والتأخير هو العناية والاهتمام بعد أن بيّن كعاداته معنى التقديم والتأخير، يقول: "فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير، فإن قولك {كسا محمدٌ سالمًا قميصًا} مثلاً ليس فيه تقديم وتأخير فقد جئت بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول الأوّل ثم المفعول الثاني، ولو غيرت أية كلمة من موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير الذي يدلّ على أنّ ما قدّمته أهمّ ممّا أخرته، فلو قلت مثلاً {كسا محمدٌ قميصًا سالمًا} كنت قدّمت المفعول الثاني على المفعول الأوّل وكان ذكر القميص أهمّ من ذكر سالم، ولو قلت {كسا قميصًا محمدٌ سالمًا} كان ذكر القميص في هذه العبارة أهمّ من ذكر الفاعل والمفعول الأوّل".²

وأكثر السامرائي من الشواهد، وخاصّة الشواهد القرآنية لتجلية المعنى لظاهرة التقديم والتأخير يقول: "ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 132)، فقدّم الجار والمجرور {بها} على الفاعل {إبراهيم} للدلالة على عظم هذه الوصيّة وأنها أعظم من الموصي وإنّما لا يختلف أمرها سواء كان الموصي إبراهيم أم غيره... ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: 8)، والمقصود بالقسمة قسمة الموارث فقدّم القسمة على الفاعل لأنّها هي الأهمّ وهي المقصودة بالكلام ولم يكن الحضور إلّا بسببها، والسياق إنّما هو في الأموال والتّصرف فيها فناسب تقديم المفعول به على الفاعل ههنا".³

1 فاضل السامرائي وآراؤه النحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، ص 04.

2 الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ص 37.

3 المصدر نفسه، ص ص 41، 42.

نلاحظ أن السامرائي يبين هنا أن الغرض من التقديم والتأخير هو العناية والاهتمام، وذكر بعدها أن "الأهمية لا تعني الأفضلية مطلقاً، إذ يقدم المفضول على الفاضل والمتأخر على المتقدم، ويتكئ في هذا الاستنتاج على أي الذكر الحكيم، فهو يستشهد ببعض الآيات القرآنية أخرت فيها بعض المفردات كان من حقها التقديم".¹

يقول السامرائي في هذا الشأن: "والذي نريد أن نذكره ههنا أن مواطن العناية تختلف بحسب اختلاف المقام ولذلك فقد تقدم كلمة في موطن وتأخرها في موطن آخر حسبما يقتضيه المقام كما مثلنا وليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل أو أشرف إذ المقام قد يقتضي تقديم المفضول على الفاضل وقد يقتضي العكس ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من تقديم الكافرين على المؤمنين وتقديم العقوبة على المغفرة وتقديم الضرر على النفع ولكل مقام مقال".²

واستشهد لتوضيح الغرض من ظاهرة التقديم والتأخير بشواهد قرآنية عديدة نذكر منها: "قوله تعالى في سورة المعارج ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمُنْذٍ بَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتَهُ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّسُ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، وقال في سورة عبس ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَحْبَتِهِ ۖ وَبَنِيهِ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. بدأ في سورة عبس بذكر الأخ فالأم فالأب فالصاحبة ثم الأبناء في الأخير، وفي سورة المعارج على عكس ذلك، فقد بدأ بالأبناء فالصاحبة فالأخ فالفصيصة ثم انتهى بأهل الأرض أجمعين، وسبب ذلك والله أعلم أن المقام في عبس مقام الفرار والهرب، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنَ الْإِنْسَانِ يَفِرُّ مِنَ الْأَبَاعِدِ أَوَّلًا ثُمَّ يَنْتَهِي بِالصَّقِ النَّاسِ بِهِ وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ فَيَكُونُونَ آخِرَ مَنْ يَفِرُّ مِنْهُمْ، هذا هو السياق في عبس، سياق الفرار من المعارف وأصحاب العلائق أجمعين للخلو إلى النفس، فإن لكل امرئ شأنًا يشغله وهمًا يعنيه، أما السياق في سورة المعارج فهو مختلف مما في عبس، ذلك أنه مشهد من مشاهد العذاب الذي لا يطاق فقد جاء بالمجرم ليقذف به في هذا الجحيم المستعر، وهذا المجرم يود النجاة بكل سبيل ولو أدى ذلك إلى أن يبدأ بابنه فيضعه في دركات لظى...".³

لم يكتف السامرائي في الغرض من التقديم والتأخير بالعناية والاهتمام إلى جانب السياق بل اجتهد في التعمق في معاني التقديم والتأخير الواردة في الآيات التي ساقها لخدمة موضوعه، فألفيته رابطاً إياها بالمعنى لا محالة، ومن قبيل الإنصاف القول، إنه قد أدرك معاني هذه الظاهرة في بعض الآيات القرآنية

1 فاضل السامرائي وآراؤه النحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين، 2007م ص 12.

2 الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 45.

3 المصدر نفسه، ص ص 46، 47.

والتي لم تلتفت المصنّفات القديمة لها وقد ركن في درسه لظاهرة التقديم والتأخير إلى الجوّ العامّ لسور القرآن، ولم يبنّ درسه على الآية القرآنية وإنما يربط هذا كلّه بالسابق واللاحق¹.

وكما ذكرنا أنفاً أنّه بحث هذه الظاهرة في العديد من كتبه، وقد أسهب في شرحها في كتابه التعبير القرآني بعد أن استهلّ بالإشادة بالتعبير القرآني: "إنّ التعبير القرآني تعبير فنيّ مقصود، كلّ لفظة بل كلّ حرف فيه وضع وضعا فنياً مقصوداً، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلّهُ"².

يفصّل السامرائي في ظاهرة التقديم والتأخير في هذا الكتاب فيبدأ بتقسيم أحوال التقديم والتأخير على قسمين: الأول تقديم اللفظ على عامله والثاني تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، ثمّ يشرحهما ويمثّل لهما.

1- تقديم اللفظ على عامله: يقول "ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، تقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك، وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص فقولك: {أُنْجِدْتُ خَالِداً} يفيد أنّك أنجدت خالداً ولا يفيد أنّك خصّصت خالداً بالنجدة بل يجوز أنّك أنجدت غيره أو لم تنجد أحداً معه، فإذا قلت: {خالداً أنجدت} أفاد ذلك أنّك خصّصت خالداً بالنجدة وأنّك لم تنجد أحداً آخر"³.

ويذكر السامرائي أنّ هذا النوع من التقديم كثير في القرآن الكريم، ويورد شواهد قرآنية شتى موضّحة له، حيث نجده يقف عند دقائق الأمور، فيفصّل في الشرح ويذكر الغرض من كلّ تقديم ولماذا قدّم هذا اللفظ ولماذا أخر لفظاً آخر؟ وهكذا حتى تصبح هذه الظاهرة مفهومة لدى القارئ لا لبس فيها.

يقول: "فمن ذلك قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ {الْفَاتِحَة: 05-06} فقد قدّم المفعول به {إِيَّاكَ} على فعل العباداة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل {إِيَّانا اهد} كما قال في الأوّلين، وسبب ذلك أنّ العباداة والاستعانة مختصّان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى ﴿بِلَالِهِمْ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ {الزُّمَر: 66}، وقوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ {البَقَرَة: 172} فقدّم المفعول به على فعل العباداة في الموضعين وذلك لأنّ العباداة مختصّة بالله تعالى"⁴.

1 فاضل السامرائي وآراؤه النحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، ص 27.

2 التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط 03، 2018م، ص 13.

3 المصدر نفسه، ص 61.

4 المصدر نفسه، ص 62.

وقال إنه لم يقل {إيانا اهد} لأن طلب الهداية لا يصح فيه اختصاص لأنه لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تهد أحداً غيري، أو خصني بالهداية من دون الناس، فأنت مثلا حين تقول اللهم ارزقني واشفني وعافني، فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أن يخصك وحدك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحداً غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه.¹

كما ذكر السامرائي أن هناك أغراضاً أخرى للتقديم إضافة لغرض الاختصاص منها غرض المدح والثناء والتعظيم والتحقيق إلا أن الأكثر منها يفيد الاختصاص .

فمثلاً من التخصيص الذي يفيد المدح والثناء قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ {الأنعام: 84} فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحاً وإنما هو من باب المدح والثناء. ونحو قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ {الضحى: 09-10} إذ ليس المقصود به جواز قهر غير اليتيم ونهر غير السائل، وإنما هو من باب التوجيه، فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر فقدّمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما.²

ثم انتقل السامرائي للحديث عن القسم الثاني من أحوال التقديم والتأخير وهو:

2- تقديم اللفظ وتأخيره على غير عامل: حيث ذكر أن تقديم الألفاظ بعضها على بعض لها أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، ويكون غالباً للعناية والاهتمام، فما كانت العناية به أكثر قدّمته، لكنّه أشار أنّ العناية باللفظة لا يعني أنها لفظة معينة ولكن بحسب مقتضى الحال {المقام}. وذكر أنّ القرآن مثلاً يقدّم مرّة السّماء على الأرض ومرة يقدّم الأرض على السّماء، ومرة يقدّم الإنس على الجنّ ومرة يقدّم الجن على الإنس، كلّ ذلك بحسب ما يقتضيه فنّ القول وسياق التعبير.³ ونبه السامرائي إلى أنّه لا يجوز أن تكتفي بذكر أنّ لفظة السّماء مثلاً قدّمت على الأرض للعناية والاهتمام "ولكن وجب أن تبين سبب ذلك وبيان الاختلاف بين المواطنين... إنّ فنّ التقديم والتأخير فنّ رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادّعاءً يدعى أو كلمة تُقال... إنّ القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجانب بعض بدقّة عجيبة فقد تكون له خطوط عامّة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كلّ ذلك مُراعٍ فيه سياق الكلام والاتّساق العامّ في التعبير على أكمل وجه".⁴

1 ينظر التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 62.

2 المصدر نفسه، ص 64.

3 ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4 المصدر نفسه، ص 65.

قد تُقدّم الألفاظ في القرآن أو تُؤخّر لغرض التدرّج حسب القدم والأوليّة في الوجود، فيُقدّم الأقدم ثم الذي يليه وهكذا، "نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الدّاريات: 56} فخلق الجنّ قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ {الججر: 27} فذكر الجنّ أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم...

"ومن ذلك تقديم اللَّيْلِ على النَّهَارِ وَالظُّلُمَاتِ على النُّورِ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ {الأنبياء: 33} فقدّم اللَّيْلَ لأنّه أسبق من النَّهَارِ وذلك لأنّه قبل خلق الأجرام كانت الظلمة وقدّم الشّمس على القمر لأنّها قبله في الوجود".¹

وقد يكون تقديم الألفاظ بحسب الفضل والشّرف، نحو تقديم ذكر الله سبحانه على الرّسول عليه السلام في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ {النساء: 69}، فقدّم الله على الرّسول ثم قدّم السّعداء من الخلق بحسب تفاضلهم فبدأ بالأفضلين وهم النّبيون ثم ذكر من بعدهم.²

ثم ذكر أغراضاً عديدة لتقديم الألفاظ بعضها على بعض على غير العامل، منها التّقديم بحسب الرتبة ومثّل لذلك كعاداته بالشواهد القرآنية منها "قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِغْ كُلُّ خَلَافٍ مَّهِينٍ﴾ هَمَازٌ مَسْأَلٌ بِنَمِيمٍ ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ﴾ {القلم: 10-12}... فبدأ بالهمّاز وهو الذي يعيب النّاس وهذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة، ثمّ انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو المشي بالتميمة، ثمّ انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أنّه يمنع الخير عن الآخرين، وهذه مرتبة أبعد في الإيذاء ممّا تقدّمها، ثمّ انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد ممّا قبلها وهو الاعتداء، فإنّ منع الخير قد لا يصحّبه اعتداء، أمّا العدوان فهو مرتبة أشدّ من الإيذاء، ثمّ ختمها بقوله {أثيم} وهو وصف جامع لأنواع الشّورور فهي مرتبة أخرى أشدّ إيذاءً".³

ثمّ ذكّر أمثلة أخرى نحو تقديم لفظ السميع على العليم، وتقديم المغفرة على الرحمة، وقد يكون الكلام متدرّجاً من القلّة إلى الكثرة أو العكس من الكثرة إلى القلّة، وكلّ ذلك لغرض يقتضيه السّياق. وفي ختام حديثه عن هذه الظاهرة، ذكر أنّ كلّ هذه الأمثلة والشواهد إنّما هي دليل على فخامة التّعبير القرآني وعلوّه وأنّ مثل هذا العظم لا يمكن أن يكون في طوق بشر فسبحان الله رب العالمين.⁴

1 التّعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 66.

2 ينظر المصدر نفسه، ص 67.

3 المصدر نفسه، ص 69.

4 ينظر المصدر نفسه، ص 91.

ولم يقتصر السامرائي على ظاهرة التقديم والتأخير وإنما تطرّق إلى ظواهر عديدة، تحدّثنا سابقاً عن بعضها لا يمكننا هنا أن نحيط بها جميعاً، وسنركّز على بعض الظواهر فيها سيأتي ذكره في باقي مؤلفاته التي عيّنت أكثر ما عيّنت بالمعنى منها :

كتابه الجملة العربية والمعنى، فيظهر لنا أنّ "التطابق قائم بين عنوان الكتاب ومضمونه، إذ كرّس فيه المؤلف الموضوعات التي تُعين على الوصول إلى المعنى كالقرائن مثلاً وغيرها من الأمور التي تمكّن القارئ من الوصول إلى حقيقة ما يقال مستنداً في ذلك كلّ على القرائن وغيرها".¹

تحدّث بداية عن الجملة والمعنى وذكر أنّ الجملة لا بدّ أن تفيد معنى، ولذلك وجب الترابط في التركيب والترتيب: "إنّ الجملة لا بدّ أن تفيد معنى ما، وإلاّ كانت عبثاً، فلو ربّبت كلمتان ليس بينهما ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما لم يكن ذلك كلاماً، فلو قلت {سوف محمّد حضر} أو {سمع نام لم} أو {ما خالد منطلقاً أبوك} أو {الماء يحضر محمّد} لم يفد ذلك شيئاً".²

وذكر أنّ اللغة إنّما وجدت للتعبير عن المعاني "فما كان أكثر دقّة في التعبير عن المعاني وأكثر اتساعاً وشمولاً في الدلالة عليها كان أمثل وأحسن، ولا شكّ أنّ الإعراب في العربية يؤدّي ما لا تؤدّيه اللغات المبنية من دقّة في المعاني واتّساع فيها، فهو مزية لها على ما فيه من بعض الصعوبة".³

فالإعراب سمة من سمات العربية، وله فوائد وأغراض حُرمت منها اللغات البسيطة، وهو مزية للغة القرآن.

عرض السامرائي في كتابه الجملة العربية والمعنى لموضوعات عدّة واختارنا أن نقف عند موضوع لفت انتباهنا وهو: توليد المعاني، وسنركّز على وسائل توليد المعاني في الجمل.

ذكر السامرائي وسائل متنوعة لتوليد المعاني في الجمل وهي: الإعراب والتقديم والتأخير والذكر والحذف، واختلاف التقدير والتضمين والاختلاف في التعليق والوقف والابتداء وذكر القيود والمركبات والجمل ذات الدلالة المشتركة والمستفادة والمحتملة لأكثر من معنى وغيرها.

ولابدّ لنا من الوقوف عند كلّ وسيلة من هذه الوسائل مع التمثيل بالشواهد حتى يتّضح القول:

1- الإعراب: ذكر السامرائي أنّ الإعراب من الوسائل المهمة لتوليد المعاني "فبتغيّر الإعراب تتغيّر المعاني ويحصل معنى جديد وذلك نحو قولك {ما أحسن خالد} فإنّك إذا قلت {ما أحسن خالد} بفتح نون {أحسن} ورفع {خالد} كان المعنى النفي، والمعنى لم يحسن خالد، وإن قلت {ما أحسن خالد} بفتح

1 فاضل السامرائي وآراؤه النحوية، محمد يوسف محمد إبريوش، ص 149.

2 الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، ص 07.

3 المصدر نفسه، ص 49.

التون {أحسن} ونصب {خالدًا} أصبحت الجملة ذات معنى آخر وهو التعجب، فإن قلت {ما أحسن خالد} بضم نون {أحسن} وجر {خالد} صار استفهاما، فكلّ تغيير في الإعراب ولّد معنى جديدا¹.

وفي مثال آخر إذا قلت {هذا رجلاً أحسن منه غلاماً} فقد فضّلت الشّخص في حالة كونه رجلاً على نفسه حيث كان غلاماً، فإن قلت {هذا رجلاً أحسن منه غلاماً} كانا اثنين وليس واحداً، والمعنى أنّ هذا رجلاً غير أنّ الغلام أحسن منه².

2- التّقديم والتّأخير: من المعلوم أنّ التّقديم والتّأخير يولّد معنى جديداً فمثلاً إذا قلت " {أعطيت زيداً عمراً} و {أعطيت عمراً زيداً} فزيدي في الأول هو الآخذ وفي الثانية مأخوذ...

3- الحذف والذّكر: قد يولّد الذكر والحذف أحياناً معنى جديداً وذلك نحو قولك {هو يمشي مشياً} {هو مشياً} فالحذف في العبارة الثانية ولّد معنى جديداً، فإنّ معنى العبارة الثانية أنّه يمشي مشياً مستديماً متّصلاً ببعضه ببعض، أمّا العبارة الأولى فقد تقال لمن كان يمشي ولو قليلاً... ونحو قولك {مررتُ برجل ذي صوم} و {مررت برجل صوم} فإنّ العبارة الثانية تفيد المبالغة ولا تُقال إلاّ لمن يُكثر الصّوم فكأنّه تحوّل إلى صوم، وأمّا العبارة الأولى فتقال لمن كان صائماً ولو يوماً واحداً³.

4- اختلاف التّقدير: يذكر السّامرائي أنّ اختلاف التّقدير في الإعراب يؤدّي إلى اختلاف في المعنى فيتولّد معنى جديد، ووضّح ذلك بمجموعة من الشواهد منها:

قوله تعالى ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ {الأعراف : 56}، فإذا أعرّبنا {خوفاً} مفعولاً له فمعناه ادعوه للخوف والطمع، وإذا أعرّبناها حالاً فمعناها ادعوه خائفين وطامعين، وفي قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ {الرّعد : 02} فإنّه يصحّ أن يقدّر المعنى أنّه رفعها بغير عمد، وجملة {ترونها} استثنائية، ويصحّ أن نقدّر المعنى أنّه رفعها بعمد غير مرئية، فيتولّد من كل تقدير معنى⁴.

5- التّضمين: يولّد التّضمين معنى جديداً حيث يأخذ معنى من الفعل المذكور ومعنى من الفعل المقدّر "فيتولّد منهما معنى جديد يجمع بين المعنيين، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنَايَ شَرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ {الإنسان: 06} فقد ضمّن {يشرب} معنى {يرتوي} فجمع معنى الشّرب والريّ معاً، ونحو قوله

1 الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، ص 229.

2 ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 المصدر نفسه، ص 230.

4 ينظر المصدر السابق، ص 231.

تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ {المُطَقِّفِينَ: 02} فقد ضمّن {اكتالوا على الناس} معنى تسلطوا على الناس بالاكتيال وظلموهم حقهم¹.

6- الاختلاف في التعليق: ويقصد به أن يحتمل الظرف والجار والمجرور في الجملة أكثر من تعليق فيكون لكل تعليق معنى خاص به "وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ﴾ {غافر: 28}، فإن علقت من {آلِ فِرْعَوْنَ} بمحذوف كان المعنى أن الرجل من {آلِ فِرْعَوْنَ}، وإن علقتها بـ {يكتم} كان المعنى أنه يكتم إيمانه من {آلِ فِرْعَوْنَ} ولا يدل على أنه منهم، ونحو قوله تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ {القصاص: 25} فإن علقت {على استحياء} كان المعنى أن مشيها كان على استحياء وإن علّفته بالقول كان القول على استحياء².

7- الوقف والابتداء: للوقف والابتداء أثر كبير في تحديد المعنى، "وقد تحتمل العبارة أكثر من موطن للوقف والابتداء، ويكون لكل موطن منهما معنى، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ {إبراهيم: 09}، فإذا وقفت على {ثمود} وابتدأت بما بعدها كان المعنى {والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله} وإذا وقفت على {من بعدهم} دخلوا في من قبلهم وكانت جملة {لا يعلمهم إلا الله} اعتراضية ويجوز أن تكون استئنافية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ {آل عمران: 07}.

فقد وقف الأكثرون على {إلا الله} والمعنى أنه لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، أمّا الراسخون في العلم فيقولون آمناً به كل من عند ربنا، ووقف آخرون على قوله {والراسخون في العلم} على معنى أن {الراسخون في العلم} يعلمون تأويله، وجملة {يقولون} كلام مستأنف أو حال³.

8- ذكر القيود: يؤدي إلى تجديد وتوليد المعاني، فمثلاً قولك {ما جاءني أحمد} تنفي مجيء أحمد وقولك {ما جاءني محمد ركباً} فتحتمل أنه جاء غير راكب وتحتمل أنه لم يأت أصلاً، كحال قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً﴾ {البقرة: 273} أي المعنى لا يسألونهم إحفاً وغير الإحاف⁴.

9- المركبات: ومنها المركبات المبنية من الظروف والأحوال مثل: بين وبين يوم وصباح مساء، وهي تولد معنى جديداً نحو قولك {هو جاري بين بين} أي متلاصقاً.

ومنها المركبات المعربة الدالة على الترتيب أو التكرار نحو {ادخلوا رجلاً رجلاً} أي مترتبين¹.

1- الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، ص 232.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص 233.

4- ينظر المصدر نفسه ص 234.

10- الجمل ذات الدلالة المشتركة والمتضادة والمحتملة لأكثر من معنى: وبالمثال يتّضح البيان.

بالنسبة للجمل ذات الدلالة المشتركة: "ففي العربية جمل ذات دلالة واحدة وجمل ذات دلالات متعدّدة نظير المفردات، فكما أنّ المفردات قد تكون ذات دلالة واحدة وقد تكون ذات دلالات متعدّدة وهو ما يسمّى بالمشترك اللفظي فكذلك الجمل... ومن دواعي ذلك تعدّد دلالات المفردة، فقد تكون للمفردة أكثر من دلالة فتعدّدت دلالات الجملة تبعاً لذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سَبَأ: 14)، فهذا التعبير يحمل أكثر من دلالة تبعاً لمعنى الفعل {تبَيَّنَ} فاحتمل أن يكون من {تبَيَّنَ} بمعنى {بَانَ} أي ظهرت الجن، والجنّ فاعل وأنّ ما بعدها بدل من الجن كما نقول تبَيَّنَ زيد جهله أي ظهر جهل زيد، فالمعنى ظهر للناس جهل الجنّ علم الغيب وأنّ ما ادّعوه من ذلك ليس بصحيح، واحتمل أن يكون من {تبَيَّنَ} بمعنى علم وإدراك، والجنّ هنا خدم الجنّ وضعفهم أن لو كانوا أي لو كان رؤساؤهم وكبراؤهم يعلمون بالغيب، ويجيء {تبَيَّنَ} بمعنى بَانَ وظهر لازماً، وبمعنى علم متعدّياً".²

وأما الجمل المتضادة: فكذلك تأتي دلالات الجمل متضادة بسبب دلالة المفردات المتضادة، كالجون بمعنى الأبيض والأسود، ومن هذه الجمل على سبيل المثال: "الجمل التي فيها كلمات من الأضداد ولم يتبيّن أحد المعنيين من الآخر نحو قولك {شريت قميصاً} فقد يحتمل أن يكون المعنى أنّك اشتريت قميصاً ويحتمل أنّك بعته، ونحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: 79)، فقد قيل إنّ معنى {وراءهم} أمامهم وقيل خلفهم".³

ومن الجمل المحتملة لأكثر من معنى ما اختلف في دلالتها، حيث يقرّها بعضهم بغير ما يقرّها آخرون، فتحتمل أكثر من معنى، "ومن ذلك على سبيل المثال: {كاد} المنفيّة نحو {ما كاد يفعل} فقد ذهب بعضهم إلى أنّ المعنى فعّله بعد جهد، وذهب آخرون إلى أنّه لم يفعل ولم يقارب الفعل، واستدلّ الأولون بقوله تعالى: ﴿فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: 71)، واستدلّ الآخرون بقوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ نَهَا﴾ (النور: 40)".⁴

يتبيّن لنا من خلال دراسة السامرائي لأيّ ظاهرة من الظواهر اللغوية أنّه يفصّل فيها ويشرحها شرحاً وافياً مستفيضاً، ولا يمرّ عليها فحسب.

1- ينظر الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي ص 235.

2- المصدر نفسه، ص ص 83، 84.

3- المصدر نفسه، ص 88.

4- المصدر نفسه، ص 94.

مراعاة المقام: وكذلك نلاحظ من خلال تفسيره البياني للشواهد القرآنية مراعاته دائماً للمقام وقد أفرد له مؤلفاً خاصاً وسَمَّه مراعاة المقام في التعبير القرآني، ذكر في مقدمته:

"إنَّ مراعاة المقام في التعبير القرآني ظاهرة بيّنة، فلا يكاد يخلو موضع من مواضع التعبير من مراعاة المقام، فهو أمر عام في عموم المواطن من الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتوكيد وعدمه وفواصل الآي، والالتفات، واختيار لفظة على أخرى وغير ذلك من مواطن التعبير".¹

وقد عرّض لهذه الظواهر إلا أنه خصّص لظاهرة الالتفات باباً بسط فيه القول.

"ويعدّ الالتفات من الألوان التعبيرية التي يهتم بها علم الأسلوب رصدًا وتحليلاً وهو موضوع خصب كثيراً ما يستعمله القرآن الكريم ويقف عنده البلاغيون ليحلّوا الدور التعبيري والتأثيري في السياقات التي ورد فيها".²

عرّف السامرائي بداية الالتفات بقوله: "هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر كالانتقال من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، أو من الخطاب إلى التكلم أو إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى التكلم أو إلى الخطاب".³

وذكر أنّ الغرض من الالتفات هو لفت انتباه السامع وصيانتة من الملل، "وذلك تطرية للسامع وتجديد لنشاطه وصيانة له من الملل... وله أغراض أخرى كالتعظيم والتوبيخ وقصد العموم والمبالغة وغير ذلك من الأغراض".⁴

وبين السامرائي أن الالتفات مستعمل في كلام العرب وهو كثير في القرآن الكريم، ثم أسهب في ذكر الشواهد القرآنية وبيان ظاهرة الالتفات فيها. يقول: "ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَةً وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ {البقرة: 253}، فالتفت من ضمير المتكلم للتعظيم إلى ذكر الاسم الجليل فقال أولاً: {فضّلنا}، ثم قال: {من كَلَّمَ الله} إشارة إلى تعظيم هذا التفضيل، وليس كتفضيل بعضهم على بعض، وعطف على ذلك بقوله: {ورفع بعضهم درجات} يعود الضمير على الله بالإفراد، ورفع الدرجات ليس كمجرد التفضيل، فكان الالتفات هنا من لطيف المناسبة".⁵

1- مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط02، 2019م، ص 05.

2- الالتفات عند فاضل صالح السامرائي على طريق التفسير البياني أنموذجاً، عيسى رزوق، دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة، الجزائر، المجلد 14، العدد 04، أكتوبر 2022، ص 261.

3- مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، المصدر السابق، ص 60.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- المصدر نفسه، ص 61، 62.

ومثل للالتفات من الخطاب إلى الغيبة بقوله تعالى في آل عمران: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ {آل عمران: 09}، فالتفت من الخطاب إلى الغيبة فقال أولاً: {إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ} ثم قال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ} ولم يقل {إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ}، مع أنه قال في الآية قبلها ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ {آل عمران: 08}، فلم يلتفت فقال {لاتزغ} بالخطاب {وهب لنا... إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} -ذلك والله أعلم- أَنَّ قوله {إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} من الدعاء الذي دعوا به لأنفسهم فذكروا صفته، وأمّا قوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ} فهو أمر عام لا يخصهم، وإنما هو يعم جميع الخلق فذكروه باسمه العلم، فهو جامع الناس مؤمنهم وكافرهم.

وأما الآية الأخرى فهو طلب خاص بهم دعوه لأنفسهم، فاتّسم الخطاب بلفظ الربوبية المضاف إليهم¹.

وهكذا نجد السامرائي يفسر ظاهرة الالتفات في الآيات بذكر الآيات السابقة والآيات اللاحقة التي ورد فيها الالتفات.

ولم ينتقل السامرائي في كتابه هذا من ظاهرة الالتفات إلى المبحث الذي يليها إلا بعد أن استوفى شرحها وحشد لها من الشواهد القرآنية وتفسيرها ما يُغنيك عن البحث في مصنفات أخرى.

وقبل حديثنا عن كتابه القيم معاني النحو الذي سنختم به هذا الفصل، نأخذ لمحة عن كتبه التي خلصت للتفسير البياني نحو: {على طريق التفسير البياني، من أسرار البيان القرآني، قبسات من البيان القرآني، أسئلة بيانية في القرآن الكريم، التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل}، فهذه الكتب هي عبارة عن تفسير اختيارات من السور القرآنية، وتبدو الغاية من تأليفها في ما ذكره السامرائي في مقدمة كتابه قبسات من البيان القرآني: "هذا كتاب آخر في شيء من البيان القرآني الذي لا تنقضي عجائبه، وهو على نمط ما كتبت في قسم السور والآيات القرآنية المباركة حاولت أن أبين جانباً من الأمور البيانية في اختيارات من آي القرآن وسوره، لعل الله ينفع به طالب علم أو ناظراً في كتاب الله، أو متأملاً في آية، فيفتح قلباً مقفلاً، أو ينيّر مصباحاً في طريقه، فتعالنا منه دعوة مباركة ترجّح كفة الميزان عنده سبحانه، وتحفظنا من الزلل عند الصراط"².

غير أنّ كتاب التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم قد ذكر فيه كلّ سور القرآن الكريم، ركّز على موضوع التناسب بين المفتاح والخواتيم.

1-مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 63.

2-قبسات من البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط01، 2013م، ص 06.

وسنخصّص الفصل الثاني للحديث عن أحد هذه المصنّفات وهو كتاب لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل.

وأما كتابه معاني النّحو الذي اخترنا أن نختم به الحديث في فصلنا هذا، فهو من الأسفار القيّمة التي تعدّ مرجعاً للباحثين والمتخصّصين، وقد برزت فيه مكنة السّامرائي وشساعة علمه، إذ عدّه بعضهم "من المجدّدين في مجال تخصّصه وعمله، ويظهر ذلك في ما أورده في سفره الكبير معاني النّحو الذي يعدّ واحداً من مظاهر التّجديد في عصرنا الحديث، فهو مصنّف غنيّ بمادّة علميّة متنوّعة جعلها في متناول أيدي الباحثين على تنوّع تخصّصاتهم في مجال النّحو العربي، والبلاغة العربيّة، وتفسير النّصوص القرآنيّة وغير ذلك".¹

إن أهميّة هذا الكتاب تبدو جلياً في ما ذكره السّامرائي في مقدمته: "إنّ هذا الكتاب محاولة في فقه النّحو على التّهج الذي أسلفته، إنّه محاولة للتّمييز بين التراكيب المختلفة وشرح معنى كل تركيب، فهو إذاً يدور حول المعنى أساساً وبناءً. وموضوع المعنى موضوع جليل، وحسبك من جلالته أنّ اللّغة ما وجدت إلا للإفصاح عنه".²

لقد مكث السّامرائي في تأليف كتابه هذا عشرة أعوام كما ذكر ذلك، تشغله موضوعات هذا الكتاب ليلاً ونهاراً، فلم يكتف فيه بجمع الآراء أو الأحكام النّحوية، حيث يقول: "إن تأليف أيّ كتاب في النّحو، أيسر من موضوع هذا الكتاب بكثير، وذلك لأنّ الأحكام النّحوية المذكورة مبينة في كتب النّحو لا تكلفك إلا استخراجها وجمعها في كتاب واحد على حسب الخطّة التي تريدها، وأمّا هذا الموضوع فليس الأمر فيه جمع أحكام نحوية ولا ذكر قواعد مبينة، وإنّما هو تفسير للجملّة العربيّة، وتبيين لمعاني التّراكيب المختلفة، ممّا لا تجد أغلبه في كتب النّحو، وقد تفزع إلى كتب البلاغة والتّفسير وغيرها من المظانّ، فلا تجد شيئاً ممّا تريد... لقد أمضيت في هذا البحث أكثر من عشرة أعوام، وكان شغلي الشاغل في اللّيل والنّهار أن أتأمّل النّصوص، وأديم النظر فيها، وأوازن بينها، وأدقّق فيما تحتمله من معان".³

اعتمد السّامرائي في كتابه هذا على غرار كتبه الأخرى على القرآن الكريم، فهو المصدر الأوّل في احتجازه وشواهده وأبحاثه، يتبيّن ذلك في قوله: "وكان القرآن الكريم هو المصدر الأوّل لهذا البحث

1 مصادر الأستاذ الدكتور فاضل صالح السّامرائي التّفسيرية في كتابه معاني النّحو وأثرها في بناء منهجه التّفسيري، محمود عبد الرزاق جاسم/ عمر رحمن حميد الأركي، مجلّة ديالي للبحوث الإنسانيّة، العراق، المجلد 01، العدد 71، 2016م، ص 439.

2 معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، ص 09.

3 المصدر نفسه، ص ص 10، 09.

أفهرس آياته بحسب الموضوعات، وأنظر في الفروق التّعيرية، وفي السّياق الذي ورد في كل تعبير، إضافة إلى المظانّ الأخرى من كتب النّحو والبلاغة، واللّغة، والتّفسير، وعلوم القرآن وغيرها¹.
وقد لخصّ لنا السّامرائي فيما أوردناه بخصوص حديثه في مقدّمة كتابه معاني النّحو منهجه وأسلوبه في أبحاثه وكتبه، وهذا ما لمسناه من خلال دراستنا لهذه المصنّفات.

1-معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي ، ص 10.

الفصل الثاني

مسائل التّوجيه البلاغي للنحو العربي عند السّامرائي
في كتابه لمسات بيانيّة في نصوصٍ من التّنزيل

أولاً: بين يدي الكتاب

ثانياً: اللّمسّات البيانيّة في المفردة القرآنية

ثالثاً: اللّمسّات البيانيّة في التّركيب

رابعاً: اللّمسّات البيانيّة في التّعبير

بعدما تعرّفنا في الفصل الثّاني على جهود فاضل صالح السّامرائي في التّوجيه البلاغي للنّحو العربي حيث وقفنا على أبرز كتبه التي عنيت بذلك عناية فائقة، ووضعنا أناملنا على أهمّ الظّواهر أو المسائل البلاغية النّحوية التي وردت فيها، اخترنا في هذا الفصل كتاب {لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل} قصد تطبيق أهمّ ما عرضناه من مسائل، فتتبّعنا جلّ اللّمسات البيانيّة لعلّنا نسهم في تنوير القارئ، وعسى أن ينالنا من هذا البيان القرآني بركة تنور أبصارنا وتشرح صدورنا.

أولاً: بين يدي الكتاب

1. التعريف بالكتاب:

جاء الكتاب تحت عنوان {لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل}، ألفه صاحبه فاضل صالح السّامرائي، وهو كتاب متوسط الحجم، يقع في ثمانية وثمانين ومئتين صفحة (288)، صادر عن دار عمار للنشر والتّوزيع بعمّان، الأردن، في طبعته الثّالثة عام ثلاثة بعد الألفين للميلاد 2003م. يظهر من عنوان الكتاب أنّه يخصّ التّفسير البياني للقرآن.

2. قراءة في مقدّمة الكتاب:

استهلّ السّامرائي كتابه بديباجة قصيرة، أثنى فيها على الله سبحانه وتعالى، ثم بيّن سبب تأليفه الكتاب والغرض منه، حيث يقول:

"فهذه جملة من نصوص التّنزيل سئلت عن سرّ التّعبير في بعضها واخترت بعضها الآخر من سور متعددة لأبيّن طرفاً ممّا فيها من أسرار تعبيرية ولمسات فنيّة لعلّ فيها نفعاً لدارسي القرآن ولتكون خطوة أخرى بعد كتاب {التّعبير القرآني} في بيان شيء من أسرار هذا السّفر العظيم كتاب الله الخالد".¹

فالسّامرائي يوجّه هذا الكتاب للمهتمّين بالقرآن الكريم دراسةً وتفسيراً وبياناً، ويتّضح من قوله أنّه اختار عدداً من السّور جعلها محلّ دراسته.

ويذكر الغرض من هذا الكتاب من خلال قوله: لأبيّن طرفاً ممّا فيها من أسرار تعبيرية ولمسات فنيّة فهو ليس تفسيراً نمطياً، وإنّما تفسير بياني أو بلاغي يقف فيه عند أسرار التّعبير القرآني وروعة جماله... نلاحظ تواصل السّامرائي مع قُرّائه، في قوله: سئلت عن سرّ التّعبير فيها، ويبدو هذا جليّاً في جلّ كتاباته، حيث نلمس ذلك الحوار المتمثل في السؤال والجواب، إلّا أنّه في هذا الكتاب أبيّن، ولعلّ سبب ذلك كما هو معلوم أنّ السّامرائي كان يقدّم "برنامج لمسات بيانيّة على قناة الشارقة والذي يحظى بإعجاب الكثيرين، حيث لم تكن الفكرة في ذهنه بداية، ولكنه ألقى محاضرة في جامعة الشارقة بمناسبة الإسرائاء

1- لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، فاضل صالح السّامرائي، دار عمار للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط03، 2003م، ص 05.

والمعراج، فنالت إعجابا من الحضور، ممّا دعا رئيس قسم الشريعة إلى تقبيل رأسه مرتين، وقد سمع الشيخ "مظهر فائز قيمة" الذي كان له برامج في القناة، وقد وقع بيده كتابا للتعبير القرآني، فقال: لماذا لا يكون هذا في التلفاز؟ فاتّصل به فبدأ البرنامج".¹

بيّن السامرائي أنّ هذا الكتاب ليس كتاب إعجاز للقرآن الكريم، لأنّ الإعجاز كما قال: هو أكبر ممّي وإنّما هو خطوة في طريق السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز، "إنّ هذا الكتاب-وكذلك الكتاب الذي قبله أعني كتاب {التعبير القرآني}- ليس في بيان الإعجاز القرآني، وليس هو خطوة واحدة في هذا الطريق، وإنّما هو خطوة في طريق قد يوصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز".²

وأكد أنّ إعجاز القرآن لا يمكن أن ينهض لبيان شخص واحد ولا جماعة في زمن ما، ذلك لأنّه في نظره متعدّد النواحي، ومتشعب الاتجاهات، وعدّد السامرائي نواحي هذا الإعجاز، منها الإعجاز العلمي والإعجاز التاريخي، والإعجاز النفسي... إلخ، وبيّن أنّ اللغوي يسعى لإبراز مظاهر الإعجاز اللغوي في التعبير القرآني الواحد، كما هو حال باقي النواحي الأخرى، "إنّ التعبير الواحد، قد ترى فيه إعجازا لغويّا جماليا وترى فيه في الوقت نفسه إعجازا علميا، أو إعجازا تاريخيا، أو إعجازا نفسيا، أو إعجازا تربويا أو إعجازا تشريعيّا أو غير ذلك... فيأتي اللغوي، لبيّن مظاهر إعجازه اللغوي، وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى، ولا تقديم ما أخر أو تأخير ما قدّم، أو تأكيد ما نزع منه، أو عدم تأكيد ما أكد، ويأتيك العالم في الطبّ ليقول من وجهة نظر الطب، ألطف وأدقّ ممّا يقوله اللغوي، ويأتيك العالم في التشريع، ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون، ويأتيك المؤرّخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كلّ علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه".³

ويعود السامرائي ليؤكد أنّ سعيه هذا ليس في الإعجاز وإنّما هو ملامح ودلائل وإضاءات تبرز فنّ وجمال هذا التعبير القرآني الرفيع.

"إنّنا ندلّ على شيء من مواطن الفنّ والجمال، في هذا التعبير الفنّي الرفيع... ونبين أنّ هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر، بل ولا البشر كلّهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول إنّ هذه هي مواطن الإعجاز وإنّما هي ملامح ودلائل، تأخذ باليد وإضاءات توضع في الطريق، تدلّ السالك على أنّ هذا القرآن كلام فنّي مقصود وضع وضعاً دقيقاً ونسج نسجاً محكماً فريداً، لا يشابهه كلام..."⁴

1-الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو، الموقع الإلكتروني لرابطة أدباء الشام (www.odabasham.net)، 2019/04/04.

2-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 05.

3-المصدر نفسه، ص 08.

4-المصدر نفسه، ص 09.

3. قراءة في مضمون الكتاب:

تضمّن الكتاب بعد المقدّمة، مختارات من السّور والآيات القرآنية، ابتدأها المؤلّف بسورة الفاتحة تبرّكاً واختتمها بسورة البلد.

أخذت سورة الفاتحة القسط الأوفر من الكتاب من الصفحة الحادية عشر-11- إلى الصفحة الثانية والسبعين-72- من صفحات الكتاب.

4. قراءة في منهج الدّراسة:

يبدو أن السّامرائي كعادته لا يصرّح عن منهجه بل يكتفي بذكر الغرض من تأليفه، غير أنّ منهج الدّراسة كما يبدو أنّه لا يختلف عن كتبه السّابقة، المنهج العملي التطبيقي الذي يعتمد على الوصف والتفسير والتعليل، فهو يكثر من المسائل التّطبيقية ويعلّل لها، إمّا بالترجيح أو بالتأييد أو بالتعديل ويكثر الشّواهد، وبما أن الكتاب خاصّ بالبيان القرآني فهو يعتمد على الشّواهد القرآنية.

5. المصادر التي اعتمد عليها السّامرائي في هذا الكتاب:

اعتمد فاضل السّامرائي في هذا الكتاب على مصادر قيّمة تنوّعت بين كتب اللّغة والنّحو، وكتب التّفسير، وكتب علوم القرآن، والمعاجم، فمن أمثلة كتب اللّغة والنّحو كتاب سيبويه، والخصائص لابن جني ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، وكتابه معاني النّحو...، ومن أمثلة كتب التّفسير: التّفسير الكبير لفخر الدّين الرّازي وتفسير ابن كثير، والتّفسير القيم لابن القيم، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم للألوسي والكشاف للزمخشري...، ومن أمثلة كتب علوم القرآن: الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم والبرهان في علوم القرآن للزركشي...، ومن أمثلة المعاجم: تاج العروس شرح القاموس للزبيدي ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز أبادي.¹

ومنه يتبيّن لنا أنّ هذه الكتب لها وزنها وقيمتها في المكتبة العربيّة الإسلامية، وكذلك يتأكّد لنا أنّ السّامرائي يتكئ في كتاباته على مادّة علميّة ثمينة إضافة إلى ما حباه الله به من علم غزير وثقافة واسعة. من خلال هذه اللّمحة عن هذا الكتاب، تتّضح لنا شخصية السّامرائي "هذا الرجل الذي أدرك قيمة اللّغة، فأبانها المعاني القرآنية، فإنّ الذي يتدارس كتابه لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل سيدرك هذا لا محالة، كتاب جمع فيه الأوجه البيانية والإعجازية في القرآن الكريم".²

1 ينظر لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل، فاضل صالح السّامرائي، ص ص 285، 286، 287.

2 البَيَانُ الْقُرْآنِيُّ وَالْإِعْجَازُ الرَّبَّانِيُّ دِرَاسَةٌ فِي كِتَابِ "لَمَسَاتُ بَيَانِيَّة" لِصَالِحِ فَاضِلِ السَّامِرَائِيِّ، فَاتِحِ مَرْزُوقِ بْنِ عَلِيٍّ، مَجَلَّةُ الْمُقَرَّرِ لِلدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ، جَامِعَةُ الْمَسِيلَةِ، الْجَزَائِر، المجلد 02، العدد 04، جوان 2019م، ص 58.

ثانياً: اللّمسات البيانية في المفردة القرآنية

في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الفاتحة: 01}.

ذكر السامرائي الفرق بين {الحمد} و{المدح} و{الشكر}:

• بين {الحمد} و{المدح}:

الحمد: "هو الثناء الجميل من نعمة أو غيرها، مع المحبة والإجلال. فالحمد أن تذكر محاسن الغير... ولا يكون الحمد إلا للعاقِل" ¹.

وقيل هو: "الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل من نعمة وغيرها" ².

أما المدح: قد يكون للعاقِل ولغير العاقِل، فإنك قد تمدح جماداً وقد تمدح حيواناً، ولكن لا تحمده. والمدح قد يكون قبل الإحسان أو بعده، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان، والحمد فيه تعظيم وإجلال ومحبة على عكس المدح فإنه منهي عنه بخلاف الحمد، فإنه مأمور به، فكان اختيار {الحمد} أولى من اختيار {المدح} ³.

• بين {الحمد} و{الشكر}:

الحمد: يكون لمن أنعم عليك أو على غيرك.

الشكر: يكون للشخص الذي أوصل إليك نعمة.

الحمد: يكون على العطاء وعلى الصفات الذاتية، أما الشكر فلا يكون إلا على النعمة ولا يكون على الصفات الذاتية.

جاء في لسان العرب: "والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته" ⁴، ولذلك جاء اختيار {الحمد} أولى من {المدح} و{الشكر}. من معاني الأبنية: في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ {الفاتحة: 03}، يبين السامرائي البناء الصّرفي للفظتين ثم يوجه المعنى.

-كلمة {الرَّحْمَنُ}: على وزن فَعْلَان، من الرحمة.

-وكلمة {الرَّحِيمُ}: فَعِيل، منها كذلك.

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 11.

2- الدقائق المحكمة في شرح المَقْدِمة (على مقدمة ابن الجزري في علم التجويد)، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، مراجعة أبو الحسن معي الدين الكردي، تعليق محمد غياث الصّبّاغ دار مناهل العرفان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط01، ص 43.

3- ينظر لمسات بيانية، المصدر السابق، ص 12.

4- ينظر لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور المصري، طبعة بولاق 1300هـ، الجزء 04، ص 133.

صيغة {فَعْلَانْ}: تفيد الدلالة على الحدوث والتجدد: نحو عَطَشَانْ وَغَضَبَانْ وَجُوعَانْ، ولا تفيد الدلالة على الثبوت، وتفيد أيضا الامتلاء بالوصف، وصيغة {فَعِيل} تدلّ على الثبوت في الصفة، نحو طَوِيل وَجَمِيل وَقَبِيح، أو التحول في الوصف إلى ما يقرب من الثبوت، نحو خَطِيب وَبَلِيغ وَكَرِيم...¹

وقد وضّح السامرائي سرّ اجتماع اللفظتين {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} بقوله: "فجاء بالوصفين للدلالة على أنّ صفته الثابتة المتجددة هي الرحمة للاحتياط في الوصف، فإنّه لو وصف نفسه بأنّه {رَحِيم} فقط لوقع في النَّفْس أنّ هذا وصفه الثابت، ولكن قد يأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم والخطيب، ولو قال: {رَحْمَن} فقط لظنّ أنّ هذا وصف غير ثابت، كالغَضَبَانْ والعَطَشَانْ وهذا الوصف يتحوّل فيذهب الغضب ويزول العطش وكذلك الرحمة، فجمع بينهما ليدلّ على أنّ وصفه الثابت والمتجدد هو الرحمة، فرحمته دائمة لا تنقطع وهو من أحسن الجمع بين الوصفين، ولا يؤدّي الوصف بأحدهما ما يؤدّي اجتماعهما".²

سرّ اختيار كلمة {الصِّراط} دون {الطَّرِيق} أو {السَّبِيل}

في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ {الْفَاتِحَة: 06}

يلعلّ السامرائي سبب هذا الاختيار بالتركيز على معاني بناء هذه الألفاظ حيث يقول: "أنّ {صراط} على وزن {فِعَال} هو من الأفعال الدالة على الاشتغال كالرباط والشّداد، فيشتمل على كلّ السالكين ولا يضيق بهم، فهو واسع رحب بخلاف كلمة {طريق} فإنّها {فَعِيل} بمعنى مفعول من {طَرَق} بمعنى مطروق، وهنا لا يدلّ في صيغته على الاشتغال، فقد يضيق بالسالكين ولا يستوعبهم، وكذلك كلمة {السَّبِيل} فهي كأنّها {فَعِيل} بمعنى {مَفْعُول} من أَسْبَلَتِ الطَّرِيقَ إِذَا كَثُرَتْ سَابِلَتُهَا... والسَّابِلَةُ من الطَّرِيقِ المسلوكة يقال: سبيل سابلة، أي مسلوكة.

وقد جاء بالصِّراط مُفْرَداً مُعَرِّفاً بتعريفين بالألف واللام والإضافة، وموصوفاً بالاستقامة ممّا يدلّ على أنّه صراط واحد، ليس ثمة صراط غيره، فالصِّراط المستقيم هو طريق الإسلام وهو دين الله، وما عداه من الطَّرِيقِ معوّج..."³

سرّ مجيء كلمة {الصِّراط} في القرآن كلّ مفردة بخلاف السَّبِيل:

نلاحظ أنّ القرآن لم يأت بكلمة الصِّراط إلّا مفردة، أمّا السَّبِيل فقد جمعها على سُبُل، "وأما طرق أهل الغضب والضلال، فإنّه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ {الأنعام: 153}، فوحّد لفظ الصِّراط وسبيله، وجمع السبيل المخالفة

1 ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 33.

2 المصدر نفسه، ص 34.

3 المصدر نفسه، ص 58.

له...، وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق".¹

سَرَّ تعديّة الفعل {آهَدِنَا} بنفسه في قوله تعالى: ﴿آهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

يوضح السامرائي تعديّة فعل الهداية بإيراده للشواهد القرآنية، ففعل الهداية يتعدى بنفسه نحو قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ {الإنسان: 03}، ويتعدى بحرف الجر إلى نحو قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {الشورى: 52}.

ويتعدى باللام: نحو قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ {الأعراف: 43}، فتعديّة الفعل بنفسه لمن كان في الصراط ولمن لم يكن فيه.

أما بتعديته باللام وإلى فتكون لمن يكن في الصراط.²

"ويبدو أن الهداية على مراتب، فالبعيد الضال عن الطريق يحتاج إلى هاد يدهله على الطريق ويوصله إليه، فهنا نستعمل {يهدي إلى}، والذي يصل إلى الطريق يحتاج إلى هاد يعرفه بأحوال الطريق ومراحلها وما فيها من مخاوف...

وهنا نستعمل {هذه الطريق}، أما اللام فإنها تستعمل في اللغة للتعليل، أي لبيان الغاية من الحدث وقد تستعمل لانتهاء الغاية {هذه لكذا}."³

الفرق بين {شهاب قبس} و{الجدوة} وبين {الإتيان} و{المجيء} وبين {أدخل} و{أسلك}: ورد في قصّة موسى في سورتي النمل والقصص، قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَوْءَاتِيَكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾، وفي سورة القصص: ﴿لَعَلِّيْ ءَاتِيْكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾.

• فما الفرق بين دلالة {شهاب قبس} و{الجدوة}؟

{الشهاب}: شعلة من النار ساطعة، و{القبس}: شعلة نارتقتبس من معظم النار، كالمقباس يقال: قَبَسَ يَقْبِسُ منه نارا أي أخذ منه نارا، وقَبَسَ العلم استفاده.

وأما {الجدوة}: فهي الجمرة أو القبسة من النار وقيل: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب، وفي معناه ما قيل: هي عود فيه نار بلا لهب، والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفئ

1 التفسير القيم، ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي - حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 14.

2 ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 48، 49.

3 المصدر نفسه، ص 51.

أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا، فهو أحسن من الجدوة في الاستضاءة والدَّفء.¹

• {الإتيان} و {المجيء}:

قال تعالى في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾، وقال في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ﴾، فما الفرق بينهما؟

يذكر السامرائي أولا ما جاء به الراغب الأصفهاني ثم يبين رأيه "قال الراغب الأصفهاني مفرقا بين الإتيان والمجيء: الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسَّيل المار على وجهه أتي، وقال: المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم لأن الإتيان مجيء بسهولة.

ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحدا بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء...، والذي استبان لي أن القرآن الكريم، يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له {أتى}، فهو يقول مثلا: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ {المؤمنون: 27}، وذلك لأن هذا المجيء فيه مشقة وشدة، وقال: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ {ق: 19}."²

وأما بخصوص تصريفهما فيوضح "الفرق بين هذين الفعلين في الاستعمال القرآني أن القرآن لم يستعمل غير الفعل الماضي من المجيء، فلم يأت بمضارع ولا أمر ولا اسم فاعل أو مفعول بخلاف {أتى} فإنه استعمل منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول، ولعل ذلك يعود إلى ثقل تصريفات {جاء} في اللفظ وسهولة تصريفات {أتى} فإن {أتى} أخف من {يجيء}."³

• {أَدْخَلَ} و {أَسْلَكَ}:

قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، وقال في القصص: ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾. الإدخال أخص من السلوك أو السلوك "لأن السلوك أو السلوك، قد يكون إدخالا وغير إدخال، إذ تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي أدخلته فيه فالإدخال أخص وأشق من السلوك أو السلوك، فإن السلوك قد يكون سهلا ميسورا، قال تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ {التحل: 69}، فانظر كيف قال {ذُلُلًا} ليدل على سهولته ويسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ {الزمر: 21}، وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض

1 ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 96/95.

2 المصدر نفسه، ص ص 96، 97.

3 من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 42.

وغوره فيها؟ فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصّعب".¹

دلالة كلمة {الهلّع} في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ {المعارج: 19}

فالهلّع هو الجزع عند مسّ الشرّ والمنع عند مسّ الخير فقد فسّره الله تعالى بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ {المعارج: 20-21}.

الهلّع لغة: أشدّ الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه، أي: إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض، ونحو ذلك فهو جزوع، أي كثير الجزع، وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك، فهو كثير المنع والإمساك...

وذكر السامرائي أنّ الجزع ضدّ الصبر ونقيضه وقد قابله الله بالصبر فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ {إبراهيم: 21}، والصبر طارد للجزع المقيت الذي طبع عليه الإنسان وتحرّر منه من أراد الله له الخير، واستثنى من الاتّصاف بصفة الهلع هذه بشقيها: الجزع والمنع للخير، من ذكرهم بعد هذه الآية بقوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ {المعارج: 22-23}.²

سر مجيء: {نهر} مفرد، مع أنّ {الجنّات} قبله جمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ {القمر: 54-55}.

علل السامرائي ذلك بقوله "جمع في لفظ {النهر} عدّة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: {أنهار}، ذلك علاوة على أنّ فواصل الآيات، تقتضي {النهر} لا {الأنهار} لأنّ آيات السّورة على هذا الوزن فقد جاء قبلها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۖ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾، وجاء بعدها: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، فإنّ المعنى أيضا يقتضي ذلك من جهات أخرى منها أنّ النهر اسم جنس، بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة، ومنها أنّ معاني {النهر} أيضا السّعة، والسّعة ههنا عامّة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكلّ ما يقتضي تمام السّعادة والسّعة، ومنها أنّ معاني {النهر} أيضا الضياء، وهذه المعاني كلّها مرادة مطلوبة، فإنّ المتقين في جنّات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السّعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة".³

1 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص ص 111، 112.

2 ينظر المصدر نفسه، ص ص 154، 155، 156.

3 المصدر نفسه، ص ص 170، 171.

وعندما بالغ في إنعامهم أي المتقين وأعلى درجتهم جاء بالصفة والموصوف بما يدل على المبالغة فقال: {عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ} ولم يقل {مَلِكٌ قَادِرٌ} فَإِنَّ {مَلِكٌ} أبلغ من {مَلِكٌ} و{مُقْتَدِرٌ} أبلغ من {قَادِرٌ} وكلمة {مَلِكٌ} على صيغة {فَعِيلٌ} وهي أبلغ وأثبت من صيغة {فَعِلٌ}.¹

دلالة كلمة {الإلهاء}:

الفرق بين {الإلهاء} و{الشغل} في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ {المنافقون: 09}.

قال تعالى: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ}، ومعنى لا تلهيكم: لا تشغلكم، لماذا لم يقل {لا تشغلكم}؟ أجاب السامرائي: "أَنَّ مِنَ الشَّغْلِ مَا هُوَ مَحْمُودٌ فَقَدْ يَكُونُ شُغْلًا فِي حَقِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ {يس: 55}، أما الإلهاء فمِمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ وَهُوَ مَذْمُومٌ عَلَى وَجْهِ الْعَمُومِ فَاخْتَارَ مَا هُوَ أَحَقُّ بِالنَّهْيِ..."²

الفرق بين {أَصْدَقَ} و{أَتَصَدَّقَ} في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ {المنافقون: 10}

سبب اختيار لفظة {أَصْدَقَ} دون {أَتَصَدَّقَ}، هناك أكثر من سبب يدعو لهذا الاختيار.

مقاطع {أَتَصَدَّقَ} أكثر من مقاطع {أَصْدَقَ}.

{أَتَصَدَّقَ}: ف+أ+ت+ص+د+ق: ستة مقاطع.

{أَصْدَقَ}: ف+أ+ص+د+ق: خمسة مقاطع.

فاختار لطلب التأخير اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدّة.

وفي {أَصْدَقَ} تضعيفان أحدهما في الصاد والآخر في الدال في حين أَنَّ {أَتَصَدَّقَ} فيها تضعيف واحد في حرف الدال، وزيادة التضعيف يدل على المبالغة والتكثير، فقد أراد أجلا قريبا ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.³

سر اختيار لفظة {تَذَرُونَ} في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ في سورة {القيامة: 20-21}. الفرق بين {تَذَرُونَ} و{تَتْرَكُونَ} و{تَدَعُونَ}:

يعلّل السامرائي سر الاختيار موضحاً الفروق بين هذه الألفاظ فيقول: "ثم انظر كيف اختار الفعل: {وَتَذَرُونَ} على {تَتْرَكُونَ} ذلك أَنَّ فِي {تَذَرُونَ} حذفاً وأصله {تَوَذَرُونَ} من {وَذَرَ} ليدل ذلك على طابع

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 172.

2- المصدر نفسه، ص 178.

3- ينظر المصدر نفسه، ص ص 191، 192.

العجلة التي يريد أن ينتهي من الشيء في أقرب وقت، فاخيار هذا الفعل المحذوف الواو مناسب لجو العجلة".¹

وعن سبب اختيار {تَذَرُونَ} دون {تَدْعُونَ} يقول: "والجواب-والله أعلم- أن اختيار {تَذَرُونَ} على {تَدْعُونَ} له سببه ذلك أن الفعل {وَذَر} في عموم معانيه يفيد الذم، ومنه قولهم: امرأة وَذَرَة أي رائحتها رائحة الوَذَر، وهو اللحم، وقولهم: يا ابن شامة الوَذَر وهو سبب يُكْتَى به عن القذف... بخلاف {وَدَعَ} فإن من معانيه الراحة والدعة وخفض العيش، وقد يفيد المدح، ومنه قولهم: رجل وديع، أي هادئ ساكن، في حين أن الموقف موقف ذم فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فاختر الفعل الذي يقال في عموم معانيه للذم ولم يختار الفعل الذي يقال في كثير معانيه أو أكثر معانيه للمدح، وهو اختيار فني رفيع".²

دلالة لفظة {حِلٌّ} في قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ {البلد: 01-02}

لمقال: {وأنت حلٌّ} ولم يقل: وأنت حالٌّ أو مقيم بهذا البلد؟

يطرح السامرائي هذا التساؤل ثم يجيب بقوله أنه جمع بالعدول إلى كلمة {حِلٌّ} عدّة معان في آن واحد كلّها مرادة مطلوبة، منها أن هذه اللفظة تأتي بمعنى الحال والمقيم، وقيل تعظيم المُقَسَّم به، وهو أنه لما حلّ الرسول بمكة جمعت شرفين، شرفها هي الذي شرفها الله به، وشرف الرسول فازدادت تعظيما على تعظيم وشرفا على شرف، واستحقت بذلك القسم، ومن معاني {الحلّ}: أنّها تأتي بمعنى اسم المفعول: أي مُسْتَحَلٌّ فعلى هذا يكون المعنى، وأنت مُسْتَحَلٌّ فتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دماءهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش، ومن معانيها الحلال ضدّ الحرام، بمعنى وأنت حلال بهذا البلد يحلّ لك فيه قتل من شئت.³

وثمّ يبيّن السامرائي أن هذه كلّها مرادة مطلوبة، "فانظر كيف جمعت كلمة {حِلٌّ} هذه المعاني المتعدّدة بخلاف ما لو قال: {حال} أو مقيم، أو حلال، أو ما إلى ذلك ممّا يقصر الكلام على معنى واحد، فإنّها جمعت اسم الفاعل وهو الحال، واسم المفعول وهو المستحلّ، والمصدر وهو الحلال، فانظر أيّ اتّساع في المعنى؟".⁴

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 217.

2- المصدر نفسه، ص ص 217، 218.

3- ينظر المصدر نفسه، ص 243 إلى 246.

4- المصدر نفسه، ص 247.

ثالثاً: اللّمسات البيانية في التركيب :

سرّ اختيار {الحمد لله} وليس {أحمد الله} أو {نحمد الله} في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الفاتحة: 01}.

-الحمد لله: لا تختصّ بفاعل معيّن فهي مطلقة، أمّا " {أحمد الله} أو {نحمد الله} مختصّ بفاعل معيّن.

فاعل {أحمد} هو المتكلّم، وفاعل {نحمد} هم المتكلّمون... فإنك إذا قلت {أحمد الله} أخبرت عن حمدك أنت وحدك، ولم تُفد أنّ غيرك حمده، وإذا قلت {نحمد الله} أخبرت عن المتكلّمين، ولم تُفد أنّ غيركم حمده، في حين أنّ عبارة {الحمد لله} لا تختصّ بفاعل معيّن فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.¹

-أحمد الله أو نحمد الله: {أحمد} و {نحمد}: فعل مضارع يدلّ على الحال أو الاستقبال، فيكون الحمد مرتبطاً بزمن معيّن، و {أحمد الله}: جملة فعلية دالة على الحدث والتّجدد.

-{الحمد لله}: جملة اسمية دالة على الثّبوت، وهي أقبو وأدوم من الجملة الفعلية.

-{الحمد لله}: الحمد صفة للقلب، اعتقاد المحمود متفضّلاً منعماً مستحقّاً للتّعظيم والإجلال.

-{أحمد الله}: قد تقال باللسان والقلب غافل.²

ثمّ ذكر السامرائي: أنّ عبارة {الحمد} قد تقع بالرفع أو النّصب فأيهما أولى بالاختيار؟

الجواب: الحمد: بالرفع تدلّ على أنّ الجملة اسمية تفيد الثّبوت.

الحمد: يعني أنّ الجملة فعلية بتقدير فعل {أحمد} أو {نحمد} أو {إحمدوا}.

وقال: "وقد تقول: أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النّصب أقوى من الرفع، بمعنى {إحمدوا الحمد لله} كما تقول: {الإسراع في الأمر}، بمعنى، أسرعوا؟ والجواب: لا، فإنّ قراءة الرفع أولى أيضاً، ذلك لأنّ الأمر بالشيء، لا يعني أنّ المأمور به مستحقّ للفعل، فقولك: امدح زيداً، لا يعني أنّ زيداً مستحقّ للحمد، بخلاف الرفع، فإنّه يفيد ثبوت الشيء، واستقراره على جهة الاستحقاق".³

هل جملة {الحمد لله} خبرية؟ أم إنشائية؟

ذهب معظم العلماء إلى أنّها خبرية وأنّ القصد هو الإخبار، والمعنى هو الإخبار بثبوت الحمد لله، كما تقول {المال لزيد}، و {الكتاب لخالد}، وقيل: إنشائية: والقصد ذكر ذلك على جهة المدح والتّعظيم، وقال بعضهم: هي وأمثالها إخبارية لغة ونقلها الشّارع لمصلحة الأحكام، وقال بعضهم: هي إخبار يتضمّن

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 13.

2- ينظر المصدر نفسه، ص 13، 14.

3- المصدر نفسه، ص 17.

إنشاء ورجح السامرائي: الرأي الأخير بقوله: وهذا هو الراجح في رأيي، فإنها تحتمل الخبر وإنشاء التعظيم فتجمع المعنيين معاً.¹

جاء في روح المعاني: "إن الحمد إخبار عن محاسن الغير، مع المحبة والإجلال، والمدح إخبار عن المحاسن ولذا كان الحمد إخباراً يتضمن إنشاء، والمدح خبراً محضاً".²

الفرق بين عبارتي {الحمد لله} و {إن الحمد لله} وأيهما أولى:

{الحمد لله} أولى من {إن الحمد لله} لاعتبارات:

-المقام ليس مقام شك أو إنكار، فيحتاج إلى التوكيد.

-عبارة {الحمد لله} تحتمل كما ذكرنا الخبر وإنشاء التعظيم فتجمع المعنيين معاً.

-{إن الحمد لله}: تصبح خبراً محضاً ولا تحتمل الإنشاء.

-الفرق بين عبارتي: {الحمد لله} و {لله الحمد} وأيهما أولى:

-{الحمد لله} أولى من {لله الحمد} وذلك: لأن عبارة: {لله الحمد}: فيها اختصاص، أو إزالة شك عمن

ادّعى أن الحمد لغير الله أو ادّعى أن هناك ذاتاً مشتركة معه في الحمد، ولذلك قدّمت الجار والمجرور لإزالة الشك أو لقصد الشك، والمقام كما قلنا ليس مقام إزالة شك.

-إن الحمد في الدنيا ليس مختصاً لله وحده، فالتاس قد يحمد بعضهم بعضاً.³

فإن قلت {لله} تفيد أن الحمد لله.

التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الْفَاتِحَةُ: 05}

ورد تقديم مفعولي {نَعْبُدُ} و {نَسْتَعِينُ} والغرض هو الاختصاص، أمّا لو قدّم {نعبد} احتمل أن تكون العبادة لله ولغير الله.

والمعنى: نخصّك بالعبادة ونخصّك بالاستعانة، فلا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك.⁴

لَمْ يَلَمْ يَقُلْ {إِنَّا أَهْدِي} لَمْ يَقْدِمِ الْمَفْعُولُ، كَمَا فَعَلَ مَعَ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ؟

والجواب: "لم يقدم مفعول الهداية على فعله فلم يقل: {إِنَّا أَهْدِي} كما قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وذلك لأنّ

طلب الهداية لا يصحّ فيه الاختصاص، إذ لا يصحّ أن تقول اللهم اهديني وحدي ولا تهدي أحداً غيري أو

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 18.

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 01-02، ط 01، 1994 ص 73.

3- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المصدر السابق، ص 19.

4- ينظر المصدر نفسه، ص 41.

خصني بالهداية من دون الناس، وهو كما تقول: اللهم ارزقني واشفني وعافني، فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أن يخصك وحدك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحدا غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه".¹

ذكر {لا} بين كلمتي {المغضوب} و{الضالين} في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ {الفاتحة: 07}. ما العلة في ذلك؟

ذكر {لا} بينهما، ولم يقل {غير المغضوب عليهم والضالين} حتى لا يفهم أن المباينة لمن جمع الغضب والضلال دون من لم يجمعهما، فلما ذكر {لا} جعل المباينة لكل صنف، مثلاً قولك {أنا لا أحب من تكبر وبخل} أو {أنا لا أحب من تكبر ولا من بخل}، الجملة الأولى: {أنا لا أحب من تكبر وبخل} تحتل أنه لا يحب هذين الصنفين، ويحتل أنه لا يحب من جمع بين هذين الوصفين دون من لم يجمعهما، فمن تكبر ولم يبخل، أو بخل ولم يتكبر لم يكن داخلاً في الحكم، وأمّا الجملة الثانية: {أنا لا أحب من تكبر ولا من بخل} فقولك هذا يدل على أنك نصبت أنك لا تحب من اتصف بأي صفة منها.²

سرقوله تعالى: {اهدنا} ولم يقل {اهدني}:

يبين السامرائي علة ذلك لأسباب: منها أنه مناسب للجمع في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومنها إشاعة الروح الجماعية بين الأفراد، ومنها أن فيه أن تحب للآخرين ما تحب لنفسك ومنها أن الاجتماع على الهدى، تثبيت وقوة، وأن كثرة السائلين تورث الأناش وتوهن مشقة السير بخلاف الانفراد في السير فإنه يورث الوحشة، ويستجلب الملل...³

مختارات من قصة إبراهيم في سورتي الحجر والذاريات:

في سورة الحجر قال تعالى: ﴿تَبَيَّنَ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ نُبَشِّرُونَ ﴿قَالُوا بَشْرُكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَاطِئِينَ﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿الحجر: 51-56﴾.

وقال في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿الذاريات: 24-30﴾.

1التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 49.

2ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 68.

3المصدر نفسه، ص ص 56، 57.

سرّ مجيء {سلام} بالرفع: إبراهيم عليه السلام ردّ التحية {بالرفع}، حيّاهم بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت، والاسم أقوى وأثبت من الفعل كما هو معلوم في اللغة، فإنّهم حيّوه بالنصب {سلامًا}، حيّوه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، أي نسلم سلاماً، فهو حيّاهم بالسلام الشامل الثابت الدائم فيكون قد حيّاهم بخير من تحييتهم.

قوله تعالى: {إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ}، إبراهيم واجه ضيفه بالخوف منهم في سورة {الجُر} بالجملة الإسمية المؤكدة بـ {إِنَّ}، وجاء مع ذلك بالصفة المشبهة {وَجِلُونَ} الدالة على شدة الخوف... ثم أخرجهم مخرج العموم والمثول لأهل البيت أجمعين بصورة الجمع {إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ}.

في الدّاريات: ذكر ذلك بالجملة الفعلية {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} وذكره بسورة الانفراد.

التناسب بين الصيغتين:

ذكر إبراهيم الوجل بالصيغة الاسمية: {إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ}، بشّروه بالجملة الاسمية أيضاً: {إِنَّا نُبَشِّرُكَ} ولما ذكر الخوف منهم بالصيغة الفعلية في سورة الدّاريات {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}، فبشّروه بالصيغة الفعلية أيضاً: {وَبَشَّرُوهُ}.¹

تقديم {منهم} على {خيفة} في قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} في سورة الدّاريات:

"يفيد الاختصاص والحصر أي: أنّ الخوف كان منهم لا من غيرهم، ولو قال: {فَأَوْجَسَ خِيفَةً مِنْهُمْ} لكان أخبر أنّه خاف منهم ولم يخبر أنّه لم يخف من غيرهم، بل ربما كان ثمة خوف آخر من غيرهم".²

اللمسات البيانية من قصّة موسى في سورتى النمل والقصاص:

قال تعالى في سورة النمل {يَا مُوسَى}، وقال في القصاص {أَنْ يَا مُوسَى}، فجاء بـ {أَنْ} المفسرة في القصاص ولم يأت بها في النمل وذلك لأكثر من سبب:

المقام في النمل مقام تعظيم الله تعالى، وتكريم لموسى، فشرفه بالنداء المباشر، في حين ليس المقام كذلك في القصاص، فجاء بما يفسر الكلام، أي نادينه بنحو هذا، أو بما هذا معناه.

المقام في سورة القصاص مقام تفصيل وتبسط فجاء بـ {أَنْ} زيادة في التبسط.

ومنها أن ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أنّ الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم.³

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 84 إلى 87.

2- المصدر نفسه، ص 87.

3- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 106.

لِمَ قال: في آية الْمُؤْمِنُونَ {لَمِيتُونَ} باللام؟ وقال في الزُّمَرِ: {مَيِّتُونَ} من دون لام؟ من سورتي المؤمنين والزُّمَرِ:

قال تعالى في سورة الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِعَذَابِكُمْ لَمِيتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾، وفي سورة الزُّمَرِ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

ولم أكد الموت في آية {الْمُؤْمِنُونَ} بِلَاَمٍ، وأكد البعث بِلَاَمٍ وحدها مع أنَّ الموت لا شك فيه وليس ثمة منكر له، بخلاف البعث، فإنَّ هناك منكرين له كثيرين؟

سبب تأكيد الموت في آية {الْمُؤْمِنُونَ} بِلَاَمٍ وذلك لأنَّه تكرر فيها ذكر الموت كثيرا، وتعددت صوره وأحواله عدّة مرّات بخلاف سورة الزُّمَرِ، فإنَّه لم يرد ذكر الموت إلّا مرتين.

لَمَّا أكثر الكلام على الموت، أكثر من تأكيده فجعله بحرفين، ولَمَّا قلل الكلام عليه في {الزُّمَرِ} قلل حروف التوكيد فكان كلّ تغيير مناسباً لموضعه.¹

"ذهب أكثر النحاة إلى أنَّ اللَّامَ الدَّاخلَةَ على الفعل المضارع، تُخلِصه للحال زيادة على إفادة التوكيد فإذا قلت: {إِنَّهُ لَيَكْتُوبُ} فمعناه يَكْتُبُ الآنَ، أمّا إذا دخلت على الاسم فلا تخلصه للحال، بل تكون للتوكيد فقط، قيل: ولذا أكد أنَّ الموت باللام ولم يؤكّد البعث بها".²

دلالة {قَدْ} في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ {الْمُؤْمِنُونَ: 02/01} فيها تقرير بالفلاح واخبار بحصوله وتناسب مع مختتم السورة التي قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {الحج: 77}، فقد تقرّر الفلاح بعد أن فعلوا ما أمرهم بالركوع والسجود، هناك طلب وترجّ، وهنا تنفيذ وحصول.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} فناداهم بالصيغة الفعلية الدالة على الحدث، فاستجابوا واتصفوا بذلك على وجه الثبات، فوصفهم بالصيغة الاسمية {الْمُؤْمِنُونَ}، ثم قال: {اركعوا واسجدوا}، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَابْنِ الصَّلَاةِ وَآتِ الزَّكَاةَ﴾، فاتصفوا بما أمرهم به ربهم على وجه الثبات، فوصفهم بالصيغة الاسمية فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} بصيغة ترجي الفلاح، ثم أقرّ عنهم بعد أن قاموا بما أمرهم به ربهم، أنَّ الفلاح قد وقع على جهة التحقيق والتوكيد، فجاء بـ {قد} الداخلة على الفعل الماضي، وهي تفيد التحقيق والتوقع والتقريب.³

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 115.

2- المصدر نفسه، ص 121.

3- المصدر نفسه، ص ص 128، 129.

سرّ تقديم {التجارة} على {اللهو} أولاً في قوله: {وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا}

وسرّ تأخيرها بعد ذلك في قوله: {خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجْرَةِ}

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ

التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ {الجمعة: 11}

يذكر السامرائي أنّ التجارة قُدمت أولاً لأنها كانت سبب الانفضاض، وليس اللهو، وإنّما كان اللهو والضرب بالدّفوف بسببها، ولذلك أفرد الضمير في {إليها} ولم يقل {إليهما} لأنّهم في الحقيقة إنّما انفضّوا إلى التجارة وكان قد مسّهم شيء من غلاء الأسعار، وأما سرّ تأخيرها فيما بعد وتقديم اللهو عليها لأنّ اللهو أعمّ من التجارة، فليس كلّ الناس يشتغلون في التجارة ولكنّ أكثرهم يلهون، فالفقراء والأغنياء يلهون والتجارة من أسباب الرزق وليس اللهو.¹

سرّ إسناد {الإلهاء} إلى {الأموال} في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وأنفقوا من مّا رزقنكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصّالحين﴾ {المنافقون: 10/09}

"أسند الإلهاء إلى الأموال... فقد نهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة نهى المؤمن عن الإلهاء بما ذكر، والمعنى لا تلهوا بأموال والأولاد عن ذكر الله، وهذا من باب التّهيء لشيء والمراد غيره... إنّ المنهي في اللغة هو الفاعل نحو قولك: لا يضرب محمود خالداً، فـ {محمود} هو المنهي عن أن يضرب خالداً... فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به، والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد، أمّا المخاطبون فمفعول به".²

ولم يغيّر بالتعبير الطّبيعي لا تلهوا بالأموال والأولاد على أصل المعنى، فهذا العدول لعدّة فوائد: هذا التّهيء مبالغة، إذ المراد نهى المؤمن ولكنّه بدأ بأصل المسألة وهي الأموال والأولاد، فنهاها هي عن التعرّض للمؤمن بما يلهيه، فقد جعل المؤمن كأنّه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه، وفيه إهابة للمؤمن ألاّ يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء إليها ليأخذ المؤمن حذره منها، إضافة إلى ما فيه من التّعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصبّ الشّرك لوقوع المؤمن في الفخ.³

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 175.

2- المصدر نفسه، ص 179.

3- المصدر نفسه، ص 180، 181.

مجيء {لا} بعد حرف العطف في قوله تعالى: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ}

"لم يقل {أموالكم وأولادكم} ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعي الإلهاء... ولو قال: {أموالكم وأولادكم} لاحتمل أن النهي عن الجمع بينهما... إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع".¹

وقال تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ} بعد قوله تعالى: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، "للدلالة على استمرار الحدث وتكرره ولم يقل: {وَمَنْ فَعَلَ} بالماضي، ذلك لأن الإلهاء بالأموال والأولاد أمريومي متكرر... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، أنه لو قال: {وَمَنْ فَعَلَ} لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد".²

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، قوله: "من" {الذالة على التبعية ولم يقل {أنفقوا ما رزقناكم} للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال ولا يشمل المال كله، فتستسهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ربها بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنها تستعظم ذلك وتبخل به".³

إسناد الفعل إلى الله: {مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ}

أسند الرزق إلى نفسه للدلالة على أن هذا المال إنما هو من رزق الله سبحانه، ملكه عباده فيخرجونه وينفقونه عن طيب نفس.

قوله {من} ولم يقل {قَبْلَ} في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾

فيه إشارة إلى قرب الموت من الإنسان، وأنه عليه المبادرة بالعمل الصالح: لأن {من} هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت، بل المتصل به.

تقديم المفعول به على الفاعل في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾

وذلك لأن العناية والاهتمام مُنصَّبَان على المفعول الذي يأتيه الموت وهو كل واحد منّا، إذ هو المعنى بالتوبة والصّلاح، وهو المدعو بالإنفاق وهو المتحسر التّادم إذا عاجله الموت.⁴

مجيء الفاء في قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ﴾ ولم يأت بـ {ثم} أو {الواو}؛ وذلك لأنّ الفاء تفيد معني السبب والعطف، في حين أنّ ثمّ أو الواو لا تفيد السبب، بل تفيد العطف وحده، ومن ناحية أخرى، إنّ الفاء

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 181.

2- المصدر نفسه، ص 183.

3- المصدر نفسه، ص 185.

4- ينظر المصدر نفسه، ص 186.

تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن ثمّ تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع، فجاء بالفاء لجمع معني السبب والعطف، أي أن الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف من سوء المنقلب والعياذ بالله. مناسبة مجيء الفاء الدالة على قصر الوقت وحذف حرف النداء: فقال {رَبِّ} ولم يقل {يَارَبِّ} لأنّ الوقت لم يعد يحتمل التضييع.

وكذلك مجيء {لولا} في قوله: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ ولم يقل {لَوْ أَخَّرْتَنِي} لأنّ لولا أشدّ في الطلب من {لو} وقائلها أكثر إلحاحاً من قائل {لو}.¹

مجيء الفعل الماضي بعد {لولا}: قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ ولم يقل {لَوْلَا تُؤَخِّرْنِي}، "ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن الأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة... هذا علاوة على ما يفيد دخول {لولا} على الماضي من قوة الطلب وشدّته، وإن كان مُستقيل المعنى".²

العطف بالجزم على النصب في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال {فَأَصَّدَّقَ} بالنصب ثمّ قال {وَأَكُن} ولم يجعلها على نسق واحد؟

"والجواب: أن هذا ممّا يسمّيه النحاة (العطف على المعنى)، وقد يستعمل في غير القرآن (العطف على التوهم)، ذلك أن {أَصَّدَّقَ} منصوب بعد فاء السببية، و{أَكُن} مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: {إن أَخَّرْتَنِي أَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ}، ونحو ذلك أن تقول: {هلا تدلّني على بيتك أُرْزُكْ}، فـ {أُرْزُكْ} مجزوم بجواب الطلب والمعنى... ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط، فجمع بين معني السبب والشرط فالعطف إذن ليس إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد".³

ويذكر السامرائي أنه قد يقول سائل: ولماذا لم يسوّ بينهما فيجعلهما نسقاً واحداً؟ فيجيب أنّهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصّلاح أهمّ من الصدقة ذلك أن الذي ينجي من العذاب هو كونه من الصّالحين لا كونه متصدّقاً، فالْمُؤْمِنُ قد لا يتصدّق بصدقة أصلاً فقد لا يكون معه ما يتصدّق به ومع ذلك يدخل الجنّة بصلاحه.

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 187.

2- المصدر نفسه، ص 187.

3- المصدر نفسه، ص ص 189، 190.

واستشهد بقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ {المؤمنون: 100/99}، فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة لأن الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها.¹

اقتران فعل القسم ب {لا} في قوله تعالى: ﴿لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ {القيامة: 01} يعلل السامرائي هذا الاقتران، والذي تكلم فيه النحاة والمفسرون لكنه يضيف قائلا: "إن كل أفعال القسم المسندة إلى الله في القرآن الكريم مسبوقة ب {لا} إذ ليس في القرآن {أقسم} بل كلها {لا أقسم}، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ {الواقعة: 75}، وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ {الانشقاق: 16}... فليس القسم ههنا يعني في سورة القيامة بدعاً من التعبير".²

وللتوضيح أكثر يبين أنه إذا أردت أن تخبر صاحبك عن أمر يجمله أو ينكره، وقد يحتاج إلى قسم لتوكيده، لكنتك تقول له: {لا داعي أن أحلف لك على هذا} أو {لا أريد أن أحلف لك أن الأمر على هذه الحال} ونحوه في الدارجة عندنا أن تقول: {ما أحلف لك أن الأمر كيت وكيت}، أو {ما أحلف لك بالله لأن الحلف بالله عظيم}، إن الأمر على غير ما تظن... فأنت تخبره بالأمر وتقول له: لا داعي للحلف بالمعظّمات على هذا الأمر.

وكذلك مثلاً أن تقول: لن ألحّ عليك في زيارتنا، فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالطلب الصريح.³ حذف عامل الحال في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ {القيامة: 04} فقد حذف منه عامل الحال "ولم يذكر عامله، ويقدره النحاة بقولهم {بلى نجّمها قَادِرِينَ}، وهذا الحذف يتناسب أيضاً والعجلة التي دلت عليها النفس اللّوامة".⁴

عود الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ {القيامة: 16} "والضمير في {به} يعود على القرآن، ولم يجزله ذكر وهو مفهوم المعنى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقّن الوحي، نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يتفلّت منه، فأمر بأن ينصت إليه ملقياً إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه... وأما قوله {لِتَعْجَلَ بِهِ} فهو تعليل لتحريك اللسان، فالعجلة علّة لفعله هذا صلى الله عليه وسلم".⁵

1 ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 191.

2 المصدر نفسه، ص 203.

3 ينظر المصدر نفسه، ص ص 203، 204.

4 المصدر نفسه، ص 206.

5 المصدر نفسه، ص 212.

رابعاً: اللّمسات البيانية في التعبير

سّر اقتران {الحمد} باسم الله {العلم} في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الفاتحة: 01} "ولم يأت بوصف آخر بدله فلم يقل مثلاً: {الحمد للخالق}، أو {الرازق} أو للحي، أو للقادر... ذلك أنّه لو جاء بأيّ وصف بدل لفظ الجلالة لأفهم ذلك أنّ الحمد إنّما استحقّه هذا الوصف وغيره، فلو قال {الحمد للعليم} لأفهم أنّ الحمد إنّما استحقّه بوصف العلم... وهكذا بقيّة أوصافه الحسنى، فجاء بالذات ليدلّ على أنّ الحمد إنّما استحقّه لذاته هو، لا لوصف دون وصف، فكان ذلك أولى".¹

وكذلك لفظ الجلالة {الله} جاء مناسباً لقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فهو مناسب للعبودية، لأنّ هذا اللفظ على أشهر الأقوال مأخوذ من لفظ {الإله}، أي المعبود.

وكذلك لو اقترن {الحمد} بوصف غير اسم العلم مثال: {الحمد للحي} كان الحيّ لفظاً مشتركاً بين الله والبشر، وهكذا يراعي التعبير القرآني التّناسب في المعنى.²

سّر اقتران كلمة {ربّ} بـ {العالمين} في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ناسب هذا الاقتران التعبير، لأنّ معناه "إمّا ربّ البشر أو المكلفين أو ربّ الخلق كلّهم، وغلب العقلاء منهم، ولهذا التّخصيص أو التّغليب سببه أنّ الكلام في سورة الفاتحة خاصّ بالعقلاء، فالعبادة والاستعانة وطلب الهداية إلى الصّراط المستقيم وتصنيف الخلق إلى منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالّين، وهو خاصّ بالمكلفين وكان هذا الاختيار أنسب شيء".³

{رَبِّ الْعَالَمِينَ} أيضاً فيه ردّ على المغضوب عليهم، ومنهم اليهود الذين يدّعون أنّ الله ربّ بني إسرائيل خاصّة، وليس ربّ الخلق الآخرين من البشر، ولذلك ردّ عليهم بقوله {رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

"وقد تقول: ولم لم يفصل في ذكر مظاهر الرّبوبية، كما فعل في مكان آخر، فقد قال تعالى ثَمَّة ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمُوتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {الجاثية: 36-37}، والجواب: أنّ كلّ مقام اقتضى التعبير الوارد فيه، فقد تردّد ذكر السموات والأرض، وما فيهنّ أكثر من مرّة في سورة الجاثية، وذكر مظاهر الرّبوبية لها... وذكر الشرائع التي أنزلها الله على البشر، وهذا كلّ من مظاهر الرّبوبية للعالمين، فناسب هذا التّفصيل في سورة الجاثية، في حين لم يذكر في سورة الفاتحة إلا أصناف المكلفين".⁴

1 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 23.

2 ينظر المصدر نفسه، ص 24.

3 المصدر نفسه، ص 27.

4 المصدر نفسه، ص ص 28، 29.

تناسب التعبير في وقوع {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} بعد كلمة {الرَّبُّ}:

بين السامرائي أنَّ وقوع اللَّفظين {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} بعد كلمة {الرَّبُّ} هو أحسن موقع، وفيه إشارة أنَّ المرَبِّي ينبغي أن يتحلَّى بالرحمة ولا ينبغي له أن يقسو على من يرَبِّهم ويرشدهم، وفيه إشارة أيضاً إلى أنَّ الرحمة ينبغي أن تكون صفة الرَّبِّ بكلِّ ما تحمله من معانٍ، فالملك ينبغي أن يكون رحيمًا بما يملك ومن يملك، والسَّيد ينبغي أن يكون رحيمًا، والقَيِّم ينبغي له كذلك أن يكون رحيمًا، ولذلك وصف الله رسوله عليه السَّلام، وهو المرَبِّي الأعظم بالرحمة في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ {التَّوْبَةُ: 128}.¹

تناسب التعبير في قوله تعالى: ﴿مُلْكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ {الفَاتِحَةُ: 04} في تخصيص {المُلْكُ} بـ {يوم الدين}

دون ذكر الدنيا:

يعلِّل السامرائي ذلك بأنَّه "قال قبلها {رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهو يشمل الدنيا وأنَّ يوم الدين يعني: يوم الجزاء ولا شكَّ أنَّ مالك يوم الجزاء، هو مالك ما قبله من أيام العمل، وإلَّا فكيف يجزى على ما ليس ملكا له؟... وقد تقول: لِمَ لم يقل: {يوم القيامة}؟ إنَّ {الدين} له معانٍ عدَّة كالجزاء والحساب والطَّاعة والقهر فيجمعهما في المعنى.. {ويوم الدين} مناسب لقوله {رَبِّ الْعَالَمِينَ} لشمول العالمين على المُكَلَّفِينَ".²

اقتران العبادة بالاستعانة والسرف في تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

يذكر السامرائي أنَّ اقتران العبادة بالاستعانة يدلُّ على أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلَّا بعون من الله وتوفيقه، فهو إقرار بالعجز، وقُدِّمت العبادة على الاستعانة لأَنَّها الغاية من خلق الإنسان والاستعانة وسيلة للقيام بها.

جاء في تفسير القيم: "إنَّ تقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على

الوسائل، إذ العبادة غاية للعباد الذين خلقوا لها والاستعانة وسيلة إليها".³

ظاهرة الالتفات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الفَاتِحَةُ: 05}

أشار السامرائي إلى الالتفات في هذه الآية، فلم يقل {إِيَّاهُ نَعْبُدُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ}، وكما ذكرنا سابقاً أنَّ الالتفات قد يكون عدولاً من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، وغيره، وله فوائد عظيمة، منها أنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك تطرية لنشاط السَّامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 23.

2- المصدر نفسه، ص 39.

3- التفسير القيم، ابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، ص 66.

إجرائه على أسلوب واحد، وكذلك فوائد يقتضيهما المقام، فمثلاً هنا: اقتضى المقام أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلّق العلمُ بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمّات فخطب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات فقل: إياك يا من هذه صفاته نخصّك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك، ولا نستعينه، لذلك وقع هذا الالتفات.¹

ومن فوائد الالتفات أنه جاء توطئة للدعاء، "ومنها أنّ الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن هنا إلى الآخر دعاء، وهو في الحضور أولى، والله حيّ كريم".²

ظاهرة التكرير في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

ذكر السامرائي أنّ تكرير {إِيَّاكَ} مع فعل الاستعانة يفيد {التخصيص} على حصر الاستعانة به، فإنّه لو قال: {إِيَّاكَ نعبد ونستعين} لأفاد أنّه يخصّه بالعبادة، ولم يُفد أنّه يخصّه بالاستعانة نصّاً، بل لم يعين الذات التي يستعين بها أيضاً، وكذلك لو اقتصر على ضمير واحد لقال: {إِيَّاكَ نعبد ونستعين} ربما يفهم منها أن يكون التقرب إليه بالجمع بين العبادة والاستعانة، وفي تكرير {إِيَّاكَ} يفيد من الاهتمام والقوّة ما ليس في حذفها.³

مراعاة المقام في التعبير في مسألة تقديم كلمة {المغضوب} على {الضالّين} في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

اقتضى المقام تقديم المغضوب عليهم لأنهم أشدّ ضلّالاً وجُرمًا وعقوبة لأنّه علّم وجحد وليس من علّم كمن لم يعلم، "ومنها أنّه جاء في الحديث الصحيح أنّ المغضوب عليهم اليهود والضالّين هم النصارى واليهود أسبق من النصارى فناسب أن يبدأ بهم، ومنها أنّ صفة المغضوب عليهم هي أول صفة ظهرت في الوجود وأقدمها على الإطلاق، وهو معصية إبليس، ذلك أنّه كان عارفاً بالحقّ عالماً به، فعصى ربّه وخالف أمره، فغضب عليه ولعنه، ومنها أنّ هذه الصّفة هي أول معصية ظهرت على الأرض، وهي قتل ابن آدم أخاه... ومنها أنّ المغضوب عليهم، يقابل المنعم عليهم، فناسب أن يقع بجانب الذين أنعم الله عليهم المغضوب عليهم، هو المناسب لمفتتح السورة وما بعده، فلمّا قدّم الحمد وما إليه ناسب السّؤال بالمباعدة عن الغضب، ولما طلب بعد ذلك الهداية، ناسب أن يذكر بعد ذلك المباعدة عن الضلال، ومنها أنّ ذلك هو المناسب لخواتيم الآي أيضاً".⁴

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 47.

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، ص 92.

3- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المصدر السابق ص 42.

4- المصدر نفسه، ص ص 69، 70.

التناسب بين قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمْدُ كما ذكرنا سابقاً مطلقاً غير مقيد بزمن ولا بفاعل معين وهو دائم ثابت، والمغضوب عليهم والضالون: تفيد الثبوت والدوام.

من لم يحمد الله فهو مغضوب عليه وضالّ، ومن لم يقرباًن الله رب العالمين فهو مغضوب عليه وضالّ، ومن لم تدركه رحمة الله الرحمن الرحيم فهو مغضوب عليه وضالّ، ومن لم يؤمن بيوم الدين، وأن الله مالك ذلك اليوم، فهو مغضوب عليه وضالّ.

ومن لم يخص الله بالعبادة والاستعانة فهو مغضوب عليه وضالّ. ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم فهو مغضوب عليه وضالّ، فما أجل هذا الارتباط.¹

مراعاة السياق في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المائدة: 118}

وقع اختيار السامرائي على آية كانت متأثرة تساؤلات عن مشكلات الفواصل، والسؤال أو الإشكال المطروح هو: "لم ختم الآية بقوله {فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وكان المناسب لقوله {وإن تغفر لهم} أن يقول {فإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}؟ ولم لم يقل سيّدنا عيسى كما قال سيّدنا إبراهيم، عليهما السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟"²

ورد في جواب السامرائي أنه أولاً لا يصح اقتطاع جزء من آية أو جزء من النظر في السياق، وبناء الحكم عليه، بل ينبغي النظر في السياق كلّ، ثم ملأمة الكلام بعضه لبعض. وذكر أنه لا يصحّ ختم الآية بالمغفرة والرحمة وهنا لأنّ السياق لا يمكن أن يقتضيها... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ليس كلّ موطن تذكر فيه المغفرة أو الرحمة، ينبغي أن تختتم الآية بها، وإنّما يرجع في ذلك إلى الموطن والسياق.

الآية التي بين أيدينا وردت في سياق التبرؤ من قول عظيم قالته طائفة من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام، حكاها الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ﴾ {المائدة: 116} إلى قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {المائدة: 118} ... فنسب إلى عيسى

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 70، 71.

2- المصدر نفسه، ص 73.

أنه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهم من دون الله، فهذا المقام يمنع أن يطلب عيسى لهؤلاء الذين جعلوا الله دون منزلة عيسى وأمه أن يطلب لهم المغفرة.¹

وذكر أن {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} أولى من باب الاحتراس لأن ترك عقاب وعقوبة الجاني قد يكون لعجز وضعف، لا عن استطاعة وقدرة، وكذلك الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة، فيفعل فيهم ما يشاء، إن عفا وغفر فعن كمال العزة والقدرة، وكل غاية الحكمة والتدبر، فكان الختم بها أولى {فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فلا يجوز التعريض بالمغفرة، بل الذي يصح هو تفويض الأمر لله، وتركه إلى حكمته سبحانه.²

التقديم والتأخير في قوله تعالى {فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} {الْمُنَافِقُونَ: 10}

لِمَ قَدَّمَ الصَّدَقَةَ عَلَى الصَّلَاحِ؟ بالرغم من أن الصلاح أهم من الصدقة، والجواب "أن السياق هو في إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ} فدعا إلى الانفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام".³

سر زيادة كلمة {الْمُنْفُوشِ} في التعبير في قوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} {القارعة: 05}

دون ذكرها في سورة المعارج: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} {المعارج: 09}

■ ناسب ذكر النفش ذكر الواقعة في أول السورة، فالقارعة من القرع، وهو الضرب بالعصا، لأن من طرائف نفش الصوف أن يقرع بالمقرعة، وكذلك ناسب من ناحية أخرى أن الجبال تهشم بالمقرع {وهو من القرع} وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة.

■ في سورة القارعة الهول أشد من سورة المعارج.

■ وكذلك التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسن ذكر الزيادة والتفصيل فيها.⁴

التناسب بين قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} وما قبله في قوله تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ

عَلَى نَفْسِهِ ۖ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ} في سورة القيامة؟

يقول السامرائي أن: "المناسبة ظاهرة، وهي أن الله تعالى أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة

ومن أبرز سمات النفس اللوامة أن تعجل في الأمر، ثم تندم عليه، فتبدأ بلوم نفسها على ما فعلت...

فقال {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ بَصِيرَةٌ} وذكر العجلة {لِتَعْجَلَ بِهِ} فالمناسبة ظاهرة".⁵

1- ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 74، 75.

2- ينظر المصدر نفسه، ص 77، 78.

3- المصدر نفسه، ص 191.

4- ينظر المصدر نفسه، ص 198، 199.

5- المصدر نفسه، ص 202.

سَرَّارتباط الآية: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ بـ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ و﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ في قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ {المعارج: 18 - 25}

"أما ارتباطها بقوله تعالى: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} فهو ظاهر، ذلك أن الله وصف أصحاب جهنم بقوله: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ و﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾، ومعنى جمع فأوعى: أنه جمع المال بعضه على بعض فأوعاه فجعله في وعاء وكثره ومنع حق الله الواجب فيه من مستحقه، أما هؤلاء المعافون من النار، فقد جعلوا في أموالهم حقاً معلوماً للسائل والمحروم، فهم لم يمنعوا حق الله.... فهم مُعَافُونَ من صفة الهلع بِشِقَاقِهَا: الجزع عند مس الشر والمنع عند مس الخير.¹

"وهناك لمسة فنيّة لطيفة في اختيار نوع العذاب في هذا السياق، ذلك أنه قال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى﴾ نَزَاعَةً لِّلشَّوَى ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ و﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

من معاني الشوى: جلد الانسان فهي، أي: جهنم تنزع جلد الانسان وتبقي الأحشاء بلا جلد، والجلد للأحشاء كالوعاء للمال يحفظ ما بداخله، فإن هذا الشخص كما أوعى ماله ومنعه حقه، سيمزق الله وعاء جسمه ويخرج ما بداخله، ولا شك أن جلده ووعاء نفسه أحب إليه من المال ومن كل شيء، ألا ترى أنه يقال للمطلوب: {أُنْجِ بَجْلَدِكَ}؟ فأنظر التناسق الجميل بين المعصية والعذاب، والجزاء من جنس العمل".²

بلاغة التعبير في سورة البلد:

استيفاء عناصر البلاغ والارسال في قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ {البلد: 01 - 03}.

يذكر السامرائي أن سورة البلد "استوفت عناصر البلاغ والارسال، فقد ذكرت موطن الرسالة والرسول، والمرسل إليهم، والرسالة، فقد ذكرت مَكَّة وهي المرادة بقوله: {بِهَذَا الْبَلَدِ}، والرسول: وهو المراد بقوله: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، وذكرت المرسل إليه وهو {الإنسان} ويدخل فيه أيضاً: {الوالد وما ولد} وذكرت الرسالة، وهي الإيمان والعمل الصالح، وهو ما ذكرته من فك الرقبة ونحوه من الأعمال الصالحة

1- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ص 158، 159.

2- المصدر نفسه، ص 160.

وذكرت أصناف الخلق بالنّسبة للاستجابة إلى الرّسالة، وهم أصحاب الميمنة الذين اقتحموا العقبة وأصحاب المشأمة، وهم الكفّرة، فانظر أيّ عموم واستيفاء وشمول في هذه السّورة المباركة؟¹

ختاماً: يعدّ كتاب لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل أنموذجاً للتّوجيه البلاغي للنّحو العربي عند السّامرائي، فهو يخر بعشرات المسائل البلاغية النّحوية واللّمسات البيانية على مستوى المفردة القرآنية وعلى مستوى التّركيب وكذا التّعبير القرآني.

وقد تتبّعنا جلّ هذه اللّمسات، - وإن تعدّر علينا حصرها كلّها - وبينّا قدر المستطاع كيف كشف السّامرائي عنها ليدلّل على أنّ القرآن الكريم تعبير فنيّ رفيع مقصود.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

1- لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، فاضل صالح السّامرائي، ص 243.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة بين أروقة البلاغة والنحو، وبصحبة الأعلام الأخيار من النحاة والبلاغيين والمفسرين، وبمقام حسن عند أبرز علماء هذا العصر فاضل السامرائي في أحضان بلاغة البيان القرآني، نخلصُ لزبدة هذا البحث لنُورد النتائج التي توصلنا إليها:

➤ اللّغة العربيّة لغة إفصاح وبيان، وزادها الله تشريفاً بأن جعلها لغة كتابه العزيز القرآن الكريم.

➤ ظهرت علوم القرآن والعربيّة وفي ذروتها النحو والتفسير والبلاغة، وقد ارتبطت كلّها بكتاب الله، بياناً لمراده، وكشفاً عن أسرارهِ.

➤ التّراث العربي زاخر بمسائل التوجيه البلاغي للنحو العربي.

➤ عرف النّحاة الظواهر البلاغية مثل التّقديم والتّأخير، والحذف والذّكر، والتعريف والتنكير وعلى رأس هؤلاء الأعلام: الخليل وسيبويه والفرّاء والمبرّد وثعلب وعبد القاهر الجرجاني.

➤ القرآن الكريم أبلغ كتاب وأرفع بيان وأجلّ برهان، وقد كان التأمل في أسلوبه وتفهم أسرارهِ دافعا لظهور الدراسات القرآنية، ومدعاة للأبحاث البلاغية التي أُلّفَت بغزارة.

➤ كانت الغاية من البلاغة العربيّة هي البحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويعد النّظم من أبرز أوجه الإعجاز، وقد تحدّث فيه ثلّة من العلماء، إلى أن بلغ الذّروة على يد عبد القاهر الجرجاني، إذ أكّد أنّ النّظم ما هو إلّا توحيّ معاني النّحو.

➤ يعدّ العالم العراقي فاضل السّامرائي من أبرز علماء هذا العصر، جمع في دراسته بين النّحو والبلاغة متأثراً بالنّظم عند الجرجاني، مغترفاً من معين التّراث العربي الصّافي، وناهلاً من علوم عصرهِ، حيث أُلّف العديد من الكتب فيالنحو والتفسير البياني، وكان جلّ تركيزهِ فيها على توجيه معاني النّحو، بخاصّة ما نجده في كتابه معاني النّحو الذي خرج في أربع مجلدات، وقضى في تأليفه عشر سنين أو يزيد.

➤ من أهم السمات والمرتكزات في كتابات السّامرائي تركيزه على المعنى والدراسة اللغوية التي شملت المستويات الصّرفية والصّوتية والنّحوية والدّلالية، معتمدا المنهج العملي التّطبيقي، حيث نجده يركّز على المسائل التطبيقية، ويعرض الآراء عليها ثمّ يرجّح ما يراه صواباً وقد يعترض عليها ويبدي رأيه معللاً له بالحجج والعلل، ناظراً في السياق جاعلاً إيّاه من أبرز القرائن المهمّة في النظر والبحث، وهو في كلّ ذلك يعتمد القرآن الكريم، بعدّه المصدر الأوّل للاحتجاج، ثمّ يليه كلام العرب من شعرونثر.

- استند السامرائي في دراسته على مصادر قيّمة، تعدّ من أُمّات الكتب في المكتبة العربيّة الإسلامية، مثل كتب اللّغة، والتفسير والبلاغة والنّحو، وكذا على بعض كتب المحدثين.
- ركّز السامرائي على التفسير البياني للقرآن الكريم فجلّ مصنّفاته وردت في هذا المجال وهو بحث في أسرار اللّغة القرآنية وتنقيب عن النّاحية الفتيّة واللمسة البيانية التي تحمل معها المعنى الدقيق.
- قدّم السامرائي جهوداً قيّمة في التوجيه البلاغي للنّحو العربي تمثلت في بحثه في المفردة القرآنية وكذا في أسرار التركيب والتعبير القرآني.
- اهتمّ السامرائي بمعاني الأبنية والصّيغ، وصال وجال في ذلك وأكّد أنّ كل عدول من صيغة إلى أخرى لابدّ أن يصحبه عدول من معنى إلى آخر.
- من أبرز المباحث البلاغية التي تطرّق لها السامرائي ظاهرة التّقديم والتّأخير وظاهرة الالتفات والحذف والذّكر وظاهرة الوصف وتعاور المفردات ومسألة توليد المعاني في الجمل.
- لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل هو أحد كتب السامرائي التي اختصت بالبيان القرآني ألفه ليُدلّل على مواطن الفنّ والجمال في هذا التّعبير ناثراً لمساته البيانية في المفردة والتركيب والتعبير القرآني.
- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن التوجيه البلاغي للنّحو العربي أسهم إسهاماً بارزاً في الكشف عن أسرار القرآن الكريم وجمال اللّغة العربيّة وخصائصها، وهذا ما لمسناه من خلال دراستنا لجهود فاضل السامرائي.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم (برواية الإمام حفص عن الإمام عاصم).

1- الكتب العلمية:

- أثر التّحاة في البحث البلاغيّ، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 1998م.
- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيّد شيخون، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1978م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمان، الأردن، ط5 2008م.
- البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللّغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000م.
- التّعبير القرآني، فاضل صالح السّامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 2018م.
- التّفسير القيمّ، ابن القيمّ، جمعه: محمد أويس الندوي - حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ط2، 2007م.
- الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السّامرائي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتّوزيع بيروت ط1، 2000م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جّي، حققه محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت، ج1، ط3 1983م.
- الدقائق المحكمة في شرح المُقَدِّمة (على مقدمة ابن الجزري في علم التجويد)، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، مراجعة أبو الحسن محي الدين الكردي، تعليق محمد غياث الصّبّاغ دار مناهل العرفان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 01.
- دراسات حول نشأة البحث البلاغي، فريد محمد بدوي النكلاوي وإسماعيل محمد الأنور، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، رقم الإيداع: 84/2179.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، المجلد 01-02، ط 01، 1994م.
- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1 2009م.
- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ج 1، ط 1، 2017م.
- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، تقديم محمد بهجة البيطار، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1980م.
- قبسات من البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط 01، 2013م.
- القصيدة الإسلامية وشعراؤها المعاصرون في الإسلام دراسة-تراجم-نصوص، بهجت عبد الغفور الحديثي، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 2002/2003م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور المصري، طبعة بولاق 1300هـ ج 04.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 03، 2003م.
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني -محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1 1998م.
- المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمار ساسي، عالم الكتاب الحديث، عمان الأردن، ط 1، 2007م.
- مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية 2009م.
- مراعاة المقام في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط 02، 2019م.
- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2 2007م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط 1، 1976م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ط1 1955م.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن ج1 ط1، 2000م.
- مناهج بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1973م.
- من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2009م. من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، الجامعة اللبنانية (قسم اللغة العربية).
- الموجز في تاريخ البلاغة، مازن المبارك، دار الفكر، دط، دت
- موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطيعي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ج1، ط1، 1995م.
- موسوعة التفسير البلاغي، نخبة من مجمع علماء القرآن الكريم بالشارقة، المجلد 01، ط1 2023م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت المجلد 01، 1978م.
- 2- المقالات العلمية:
- الالتفات عند فاضل صالح السامرائي على طريق التفسير البياني أنموذجا، عيسى رزوق، دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجلفة الجزائر، المجلد 14، العدد 04، أكتوبر 2022.
- بلاغة النظم القرآني عند رؤاد مدرسة التفسير البياني- قراءة في منهج فاضل صالح السامرائي حمير العين آمال/ جغدم فاطمة، مجلة جسور المعرفة للتعليمية والدراسات اللغوية والأدبية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، (فيفري 2023).
- البيانُ القرآني والإعجازُ الربّانيّ دراسةٌ في كتاب "لمسات بيانيّة" لفاضل السامرائي، فاتح مرزوق بن علي، مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة المسيلة، الجزائر المجلد 02، العدد 04، جوان 2019م.

- الدّراسة البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي- سمات ومركزات، اليزيد بلعمش مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 21 مارس 2017.
 - قيمة البلاغة في الدّراسات القرآنية –مصنّفات التفسير أنموذجاً، بن نعيمة عبد الغفار، مجلّة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، العدد 29، رمضان 1437هـ/ جوان 2016 م.
 - مصادر الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي التفسيرية في كتابه معاني النّحو وأثرها في بناء منهجه التفسيري، محمود عبد الرزاق جاسم/ عمر رحمن حميد الأركي، مجلّة ديالي للبحوث الإنسانية، العراق، المجلد 01، العدد 71، 2016م.
 - المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، شادلي سميرة، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، مجلّة دراسات معاصرة، دورية دولية نصف سنوية تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، المجلد 02، العدد 03 يناير 2018.
 - نفي التّرادف في التفسير البياني عن فاضل صالح السامرائي، شادلي سميرة، مجلّة حوليات كليات الآداب واللّغات لجامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، العدد 15.
- 3- الرسائل الجامعية:**
- قلبازة يوسف: كتاب سيبويه وأثره في اللّغة العربيّة دراسة في التأسيس للقواعد النّحوية، أطروحة دكتوراه في الدراسات اللغوية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2021/2022م.
 - محمد يوسف محمد إيريوش: فاضل السّامرائي وآراؤه النّحوية، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة جامعة الخليل، فلسطين، 2007م.
- 4- المواقع الإلكترونيّة:**
- الأديب الداعية فاضل السامرائي، عمر العيسو، الموقع الإلكتروني لرابطة أدباء الشام (www.odabasham.net)، 2019/04/04.
 - كتب فاضل صالح السامرائي، زينب أندي، الموقع الإلكتروني موضوع، www.mawdoo3.com آخر تحديث: 13 نوفمبر 2022، الساعة: 04:50.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وتقدير

المقدمة.....أ

المدخل: التّوجيه البلاغي للنّحو العربي في التراث العربي

أولاً: أثر النّحاة في البحث البلاغي.....02

ثانياً: أثر المفسّرين في البحث البلاغي.....15

ثالثاً: إعجاز القرآن والبحث البلاغي.....17

رابعاً: النظم قبل عبد القاهر الجرجاني.....19

خامساً: عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم.....21

الفصل الأول: جهود فاضل صالح السّامرائي في التّوجيه البلاغي للنّحو العربي

أولاً: السّيرة الذاتيّة لفاضل صالح السّامرائي.....26

ثانياً: الأسس والسّمات التي ميّزت كتابات فاضل صالح السّامرائي.....30

ثالثاً: المصادر التي استند عليها فاضل السّامرائي في دراسته وأبحاثه.....34

رابعاً: علاقة السّامرائي بالنّظم عند الجرجاني.....35

خامساً: جهود فاضل صالح السّامرائي في التّوجيه البلاغي للنّحو العربي.....36

الفصل الثاني: مسائل التّوجيه البلاغي للنّحو العربي عند السّامرائي في كتابه لمسات بيانيّة في نصوص

من التّنزيل

أولاً: بين يدي كتاب لمسات بيانيّة.....63

ثانياً: اللّمسات البيانيّة في المفردة القرآنيّة.....66

ثالثاً: اللّمسات البيانيّة في التّركيب.....73

رابعاً: اللّمسات البيانيّة في التّعبير.....82

الخاتمة.....90

المصادر والمراجع.....93

فهرس الموضوعات.....98

الملخص

المخلص

الملخص:

شمل بحثنا الحديث عن جهود فاضل السامرائي في التّوجيه البلاغي للنّحو العربي، هذا العالم المعاصر الذي نهل من التّراث العربي حيث أفاد من جهود النّحاة والبلاغيين والمفسّرين وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النّظم. تمثّلت جهود السامرائي في البحث في المفردة القرآنية والتّركيب وكذا التّعبير القرآني من خلال الظواهر البلاغية النّحوية مثل: التّقديم والتّأخير والحذف والذّكر وتوليد المعاني. ركّز السامرائي على معاني النّحو العربي وعلى الدّراسة اللّغوية بمستوياتها وكذا النّظر في السّياق، كما اعتمد على القرآن الكريم بعديّه المصدر الأوّل للاحتجاج. تميّزت دراسته في البحث عن أسرار البيان القرآني وجمال اللّغة العربية. الكلمات المفتاحية: التّوجيه البلاغي، نظرية النّظم، معاني النّحو، بلاغة المفردة القرآنية، التعبير القرآني.

Summary :

Our research examines the efforts of Fadhel al-Samarra'i in the rhetorical direction of Arabic grammar. This contemporary scholar drew on the Arab heritage, benefiting from the efforts of grammarians, rhetoricians, and commentators, most notably Abd al-Qahir al-Jurjani, the author of the theory of grammar, as well as the sciences of his time.

His efforts focused on research into the Qur'anic vocabulary and structure, as well as Qur'anic expression through grammatical rhetorical phenomena such as precedence postponement, deletion mention, and the generation of meanings.

Al-Samarra'i focused on the meanings of Arabic grammar linguistic study at all levels, and consideration of context. He also relied on the Holy Qur'an, considering it the primary source of argument.

His study distinguished itself by its exploration of the secrets of Qur'anic eloquence and the beauty of the Arabic language.

Keywords: Rhetorical direction, theory of grammar, grammatical meanings, the eloquence of Qur'anic vocabulary, Qur'anic expression.